20 me. année No 975

Le Caire 10 — 8 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ١٠ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

لا تخافوا (الاخوان)

لأنهم يخافون الله

الفكر واللغة

للأستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور بك
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اللغة ابتكار من أبدع ما وصل إليه الإنسان، وأداة تمتاز بكثير من الإتقان والإحكام، ووسيلة ناجمة من وسائل الترابط والتفاهم بين الأفراد والجماعات. وهى ظاهرة متشعبة النواحى والأطراف قد أثارت ألوانا شتى من البحث والدراسة. وإذا تركنا جانبا ما يتصل بها من دراسات أدبية ونحوية وصرفية، فإنها وجهت إلى بحوث أخرى متعددة

فعرض لها علماء وظائف الأعضاء ليعرفوا كيف تؤدى، ويبينوا أعضاء النطق والصوت، ويوسعوا فى اختصار الجهاز العضوى للغة. وعالجها علماء النفس لما رأوا من صلة وثيقة بين العمل الذهنى والدلالات اللغوية. وعنى بها علماء الاجتماع مبينين نشأتها وتطورها، وحقارنين بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة، ومعلنين أن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل ومؤثرات، ونظر إلى اللغة أخيراً على أنها جزء من التاريخ يسجل الماضى، ويحكى الأحداث، بل هى نفسها قطعة تاريخية متحركة يجب درسها وبحث معالمها

ودون أن نعرض لهذه النواحى المتعددة، نود فقط أن نوجه النظر إلى ما بين الفكر واللغة من صلة. وفى هذه الصلة ما يلقى

محاضرة ألقيت فى مؤتمر المجمع بجلسة من جلسات يناير سنة ١٩٥٢

كثيراً من الضوء على مناقشاتنا وعملنا المجمعى، وخاصة فيما يتصل بالمصطلحات ووضعها، والمترادفات وقيمتها، وألفاظ الحضارة وتجددها، والتعبيرات المبتكرة ومدى الحاجة إليها

ولا شك فى أن المعنى وثيق الصلة باللفظ الذى يؤديه، لأنه ثوبه ووعاؤه، وبدونه يضل ويصبح كأن لا وجود له. فلا يمكن تبادله بين الأفراد، بل ولا استحضاره فى ذهن الفرد الواحد. وقديما قالوا: التفكير حديث نفسى. ومن هنا ارتبط التفكير باللغة، وبالأخص فى صوره السامية كالحكم والاستدلال

٥٥٥

وإذا تأملنا الفكر واللغة وجدنا أن كل واحد منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به. فاللغة فى نشأتها تخضع إلى مدى بعيد للنشاط الذهنى والميول والاتجاهات النفسية. وما لغة الأطفال إلا حركات وإشارات تبعث عليها غرائز واستعدادات، يدفع الطفل بده إلى الأمام مشيراً إلى التقدم إلى الخلف، أو مشيراً إلى التراجع، وكل تلك حركات تعبر عن انفعالات داخلية. ولا تلبث هذه الحركات أن تتحول إلى إشارات، والإشارات إلى أصوات، والأصوات إلى ألفاظ وجمل. وبذا تنشأ اللغة فى تدرجها الطبيعى، وتقوم على أساس سيكلوجى

لم يؤثر الفكر فى نشأة اللغة فحسب، بل ساهم أيضاً بنصيب ملحوظ فى حفظها والإبقاء عليها. ذلك لأن تعلم اللغة بين أبناء الجيل الواحد يعتمد على السماع والحفظ، وتبادلها بين الأجيال التلاحقة لا سبيل إليه إلا بالنقل والرواية. ودعامة ذلك كله الذاكرة والحافظة، ولولا الذاكرة ما كانت لغة كما يقولون. وقد يكون فى الكتابة ما يرفع عن كاهلنا اليوم بعض عبء الاحتفاظ باللغة، ولكن كم من جماعات عرفت لها لغات تداولتها وتوارثتها دون أن يكون للكتابة فيها أثر ملحوظ، وإنما عولت على الذاكرة وحدها. وكلنا يعلم أن قوة التذكر أوضح فى حياة البداوة منها فى حياة الحضر، لأن المتحضرين فى اعتمادهم على القلم والقرطاس يضعفون الذاكرة ويقللون استخدامها. على أن الكتابة نفسها لا يمكن أن تتعلم وتكتسب إلا بقسط ضرورى من الحفظ والتذكر.

وللحياة الفكرية أثر آخر فى نهضة اللغة ونموها، إذ لولا تجدد المعانى وتباينها ما تجددت الألفاظ، ولا تنوعت التراكيب. ولولا عمق الفكرة وتحددها ما كانت دقة اللفظ وتخيره. وكم

يشعر المتكلم أو الكاتب أن اللفظ أو التعبير الذى استعمله لا يؤدى تماماً المعنى الذى يريده، فيحاول البحث عن غيره ليكون أكثر ملاءمة . وثروة اللغات تتفاوت فيما بينها تبعاً لنشاط الحياة الفكرية وتقدم العلوم والفنون . ولسنا فى حاجة إلى أن نشير إلى أن عصر ازدهار اليونانية قد اقترن بتلك النهضة الفلسفية والفنية التى عرفها أثينا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. وقد لوحظ أيضاً أن أسماء الذوات تغلب أسماء المعانى فى اللغات البدائية ، لأن البدائيين لا يلجئون كثيراً إلى التعميم والتجريد . وتسام فكرة الزمن بنصيب أوضح فى لغة المتحضرين منها فى لغة الشعوب الهمجية . وتبادل العلوم والفنون بين الأمم لا يقتصر على تبادل الأفكار، بل يصاحبه أيضاً تبادل بعض الألفاظ والأساليب الدالة عليها ، وكثيراً ما كشفت هذه عن أصل تلك

وللغة بدورها أثر قوى فى التفكير ، فهى إلى مدى بعيد مادته ودعامته ؛ ذلك لأن الدال والمدلول متلازمان ، وقل أن يستحضر أحدهما فى الذهن بدون الآخر . وقد سبق لأرسطو أن قال تلك الجملة المشهورة التى قدر لها أن تحيا مع الزمن ، وهى : ليس ثمة تفكير بدون صور ذهنية . وفى مقدمة هذه الصور تجىء طبعاً الرموز اللغوية . ولم يحاول أحد نقض هذه القضية إلا فى القرن التاسع عشر ، يوم أن جاءت مدرسة فورتسبورج ، وذهبت إلى أن هناك ضرباً من التفكير مجرداً من تلك الصور الذهنية ، كتفكير الأطفال الذى تملية طائفة من الميول والغرائز ، أو كتلك اللمحات والخواطر التى تمر بالذهن عابرة وكأنها معنى مجرد من كل كساء

ودون أن نقف طويلا إزاء هذين الرأيين المتقابلين، نود أن نلاحظ فقط أن الحدس ليس إلا ضرباً من التفكير . وهناك ضروب أخرى ذات حلقات لا يمكن ربط بعضها ببعض إلا بواسطة الرموز اللغوية

على أن الحدس نفسه قد يستصحب لفظاً أو ألفاظاً ، ولقد قالوا إن المرء يفكر فى كلامه قبل أن يتكلم عن تفكيره

إن الكلام فى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالتفكير السامى أو التفكير المنطقى الذى هو سلسلة من الحكم والاستدلال لا غنى له عن اللفظ والعبارة

والألفاظ فوق هذا هى الوسيلة لتحديد الأفكار وتمييز بعضها من بعض . وإذا كانت المدلولات متنوعة ، فإن اللازم أن تتنوع الدوال تبعاً لها . ولا شك فى أن الأفكار متفاوتة معنى ومدلولا، عموماً وخصوصاً ، جنساً ونوعاً . ولولا الألفاظ ما أمكن تقسيمها وتصنيفها ، ولا تحليلها وتركيبها . وآية التفكير الدقيق تعبير دقيق يؤديه . والعبارة المحكمة تؤدى عادة إلى تفكير محكم ، وبذا تنوعت العلوم ، وتحددت موضوعاتها ، وامتاز كل منها بمصطلحاته . وما العلم إلا لغة أحكم وضعها

واللغة أخيراً سبيل تداول الأفكار وتبادلها ، فهى التى تنقلها من فرد إلى فرد ، ومن جماعة إلى جماعة ، وإلا بقيت وقفاً على أصحابها ومحبوسة فى أذهانهم . وإذا كان التفكير الفردى يخضع للمجتمع ويتأثر به، فإن للغة دخلا كبيراً فى هذا الخضوع والتأثير. ومن أهم مزايا اللغة قدرتها على أداء المعانى وتيسير تبادلها ، وفضل لغة على أخرى يرجع فى قسط كبير إلى اتساع تداولها وكثرة المتخاطبين بها

* * *

فى وسعنا أن نقرر إذن أنه إذا كانت اللغة ثمرة للتفكير، فإنها هى أيضاً شرط أساسى لوجوده وتحققه على وجه كامل . هذه هى صلة الفكر باللغة ، وهى فيما يبدو صلة تفاعل وتلازم ، وقد ترتبت عليها آثار عدة ، يعنينا أن نشير إلى اثنين منها فقط . أولها أنه يمكن أن تدرس الحياة العقلية فى ضوء الحياة اللغوية . فمثلا ضعف النطق أو بطؤه يؤذن بضعف ذهنى . والأطفال لا يعبرون عن أحكامهم عادة بجملة ، وإنما يكتفون بكلمة أو بعض كلمة . ومن هنا نشأ علم النفس اللغوى الذى يرمى إلى تفسير بعض الظواهر النفسية فى ضوء الدراسات اللغوية . ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حاوله « دى شوسير » بالنسبة للغة الكبار ، و « بيابجيه » بالنسبة للغة الأطفال ، و « ليفى بريل » بالنسبة للجماعات البدائية . وإذا كانت الدراسات السيكلوجية قد أفادت كثيراً فى الخمسين سنة الأخيرة من تقدم البيولوجيا والفسيولوجيا والباثولوجيا ، فإنها استمدت أيضاً فى هذه الفترة مادة لا بأس بها من الدراسات اللغوية

وفى تاريخ الأدب ظواهر لها دلالتها السيكلوجية ، فيلاحظ أن ازدهار الآداب يقترن دائماً بازدهار العلم والحياة العقلية ، وأنه حين يعتدى على الحرية الفكرية ويعم الظلم والطغيان ينتشر

الغموض والرمز فى الألفاظ والأساليب . ولتلك الحرية الفكرية التى نعم بها الأثينيون القدامى شأن فى وضوح لغتهم وصفائها . وإذا كانت المترادفات تعد ثروة لغوية فى بعض العصور ، فإنها فى عصور أخرى تعتبر سرفاً لا محل له ولا داعى إليه

ومن جهة أخرى شغلت علاقة الفكر باللغة المناطقة منذ أن وضع علم المنطق إلى اليوم . ونحن نعرف أن منطق أرسطو نبت فى جو البيان والجدل السفسطائى ، وكان ذا صلة بالنحو اليونانى ، بل والعربى . ولأمر ما تطابق كلمة « لوجوس » اليونانية على العقل واللغة على السواء . وقد درج المناطقة منذ أرسطو على أن يعتبروا دراسة الألفاظ والقضايا مقدمة ضرورية لدراسة البرهنة والاستدلال . ولم يقنع المناطقة المحدثون بهذا ، بل شاءوا أن يحصروا المعانى كلها ، ويجمعوا «ألف وباء» الفكر الإنسانى ، ويضعوا لكل معنى رمزاً خاصاً به ، وبذا تتكون اللغة العلمية العالمية

قال بذلك « ليبنتز » ، فتنبأ بالمنطق الرياضى ، وسبق عصره بنحو قرنين ، وأثار لأول مرة فكرة اللغة العالمية . ولا غرابة فقد كانت اللاتينية لغة العلم والعلماء لعهده . هذا إلى أنه كان عالى النزعة إن فى العلم أو فى السياسة . وفى هذه اللغة المنشودة ما يقرب المسافة بين بنى الإنسان ، ويحول دون أخطاء كثيرة ؛ لأن الخطأ فى الحكم والاستدلال كثيرا ما ينشأ عن خلاف لفظى أو غموض فى التعبير ؛ ويوم يتوفر لكل معنى رمز خاص به نستطيع أن نقول : لنحسب ، بدل أن نقول : لنبرهن

وقد عادت فكرة اللغة العالمية إلى الظهور مرة أخرى قوية متحفزة فى أول هذا القرن ؛ وكان من أكبر مناصريها رياضى وفيلسوف فرنسى بارع انتزع فجأة فى الحرب الكبرى الأولى ، وهو « كونورا » الذى كان يرى إلى تهذيب الاسبرنتو وتكوين «الإيدو» ، تلك اللغة الدولية التى تفرض نفسها على جميع العقول وجميع الشعوب . وقد وضع فى ذلك معجما خاصا ، أخذ عنه كثيرا الأستاذ لالاند فى معجمه الفلسفى المشهور

والرياضة أقل العلوم حاجة إلى الألفاظ والتراكيب ، لأنها أبعدها مدى فى العموم والتجريد . فلذا ما حصرت حقائقها ، واختير لكل حقيقة رمز معين أمكن تكوين لغة رياضية كاملة . وعلى غرار هذه اللغة الرياضية يمكن وضع اللغة العالمية . وقد كان كونورا فوق تخصصه فى المنطق والرياضة ملما بأطراف الدراسات اللغوية المقارنة ، فأخذ يبحث عن أصول عامة يمكن أن تتخذ أساسا للغة الدولية ، وحاول فعلا أن يكون هذه اللغة ويعد لها نحوها الخاص

ولم تلبث محاولته هذه أن تثير ثائرة علماء الاجتماع الفرنسيين ، وعلى رأسهم دركايم . فلم يرتضوا ذلك المنطق الإنسانى الذى يقود إلى لغة عالية ، وقرروا أن هناك أسرا لغوية بقدر ما هناك من مجتمعات إنسانية . وسواء أصحت الأسس التى بنى عليها كونورا مقترحه أم لم تصح ، فإن فكرة اللغة الدولية قد ازدادت فى ربع القرن الأخير قوة ووضوحا . واعمل فى سرعة الاتصال العالمى اليوم ما ييسر سبلها . ويتيح لها الفرصة لتخرج من دائرة الرغبة والأمل إلى عالم الحقيقة والوجود

فى هذا العرض السريع مايلقى بعض الضوء على عملنا المجمعى ومنه نستخلص دروسا نافعة . وفى مقدمتها أن الأصل فى المصطلح العلمى أن يؤدى بلفظ واحد ، كى يتوفر لكل معنى رمزه اللغوى الخاص به . فلنتحاش إذن الدوال المتعددة للمدلول الواحد منعا لتكرار لا داعى إليه ، وربما أدى إلى شىء من اللبس . والمصطلح المجمع عليه وإن لم يؤد المعنى المراد تماما سينتهى بأن يستقر ويستحضر مدلوله كلما ذكر

ونحن أحرص ما نكون على أن نؤدى المعنى العلمى الجديد بلفظ عربى ، فإن تعذر ذلك فلا ضير فى التعريب ، لاسيما إذا كانت الكلمة المعربة ذات صبغة عالية ، وهذا هو المنحى العلمى فى مختلف اللغات . ومن ذا الذى يذكر مذهب ليبنتز مثلا ولا يذكر معه كلمة مناد (Monade) ؟ إنا نراها فى اللغات الأوربية على اختلافها دون تغيير أو تبديل

وما يقال عن الألفاظ يمكن أن يقال عن الأساليب . فإذا كانت المعانى المفردة تجدد فإن المعانى المركبة التى تعتمد على الرابطة والاسناد تتجدد أيضا . وإذا كنا نحس بحاجة إلى ألفاظ جديدة ، فأنا فى حاجة أيضا إلى أساليب جديدة . وقد تصادف هذه الأساليب من الرفض والمعارضة ما تصادفه الألفاظ المبتكرة ، فتستنكر حينا وترد حينا آخر . بيد أنا إذا كنا فى حل من ابتكار اللفظ فلا غضاضة علينا فى ابتكار الأسلوب ، مادام يلتقى مع الأوضاع العربية . والفكر ، فى خلقه وابتكاره ، فى حركته وتنوعه ، يتطلب دون انقطاع من الألفاظ والأساليب ما يؤدى المعانى المختلفة والمتنوعة

٢ ـ التعليم فى مصر

الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

من المسلم به أن المجتمع لا يستقيم أمره ولا يحيا الحياة الهادئة المطمئنة ولا يرق الرقى المنشود إلا إذا سادت بين أفراده فضائل معينة ؛ حددتها الأديان السماوية واجتمع عليها علماء الأخلاق .. كفضائل الصدق والأمانة والشجاعة والاستقامة ورعاية حقوق الغير والإيثار والتضحية الخ . وفى مثل هذا المجتمع الفاضل يقدر الأشخاص بأعمالهم ، فيعرف لكل ذى فضل فضله وينال المعتدى جزاء عدوانه ، وتتجلى فيه الرحمة فيعطف القوى على الضعيف ويبر الغنى الفقير ويرحم الكبير الصغير ويوقر الصغير الكبير . وكلما ازداد الناس إيمانا بهذه النواحى ازدادت المودة بينهم وازداد التعاون وقلت البغضاء وزال التشاحن ، وبذا تشيع المحبة والأخوة العامة بين الناس وتسود بينهم الطمأنينة وينتشر الأمن والسلام وهو أشرف ما تصبو إليه البشرية جميعها

ولقد أصبح هذا المجتمع الفاضل حلما من الأحلام فى هذه الأيام ؛ إذ لم يعد الناس فى مجتمعنا الحالى يقدرون تلك الفضائل بعد أن غمرتهم موجة المادية الجائحة المصحوبة بالأثرة وحب الذات والمتعة التى رمقنا بها المدنية الغربية ، فاستوى فى الأنانية والحرص على المادة وعجافة الخير الكبير والصغير والغنى والفقير ، وأصبحنا نسمع أموراً كثيرة مستهجنة عن متعلمينا وخريجى جامعاتنا ومدارسنا لم يكن لنا بها عهد فى الماضى ، ولم يعرفها آباؤنا ولا أجدادنا منذ نصف قرن من الزمان . فكم سمعنا فى السنين الأخيرة عن طبيب يعمل جادا لاستنزاف أموال مرضاه فقراء أو أغنياء قبل أن يعمل على استئصال أمراضهم ، والمريض المسكين الذى يرعى فى أحضان طبيبه لينقذه مما يعانيه لا بد له أن يثق بهذا الطبيب وأن يصدق كل ما يقرره له ؛ باذلا كل مافى وسعه لإرضائه علّه ينال الشفاء على يديه ، وكم تكون الصدمة قوية مدمرة إذا عرف أن طبيبه يطب لجيبه قبل أن يطب لإراحة هذا المسكين من علته ! وكم سمعنا عن محام احتال للحصول على المال بمختلف الحيل الشيطانية التى لا تقع تحت طائلة عقوبات قوانيننا الوضعية الناقصة . ناهيك بما يعمله لإغراء المتقاضين بعضهم ببعض ، وبث الفتنة خصوصا بين المتشاحنين من أفراد الأسرة الواحدة للدخول بهم فى قضايا يبتز فيها أموالهم . وكم سمعنا عن مهندس أو موظف كبير يأخذ الرشوة جهاراً نهارا ليغلب عطاء شركة على أخرى أو ليعمل عملا فى تغليب باطل على حق . وكم قرأنا فى الصحف والمجلات عن نكبات نزلت بالناس أو خسارات فادحة أصابت موارد الحكومة بسبب التزوير والاختلاسات ! ثم إن هذه النكبات الكثيرة التى تقع على رأس الشعب والحكومة نفسها لم تعد تقع من أفراد معدودين غير متعلمين كما كان الحال منذ نصف قرن من الزمان قبل تغلغل روح الفساد الغربى فى صفوفنا .. ولكنها مع الأسف تعددت وتكررت من كثيرين من متعلمى مدارسنا وجامعاتنا حتى أصبحت لا تطاق ولا تحتمل وأصبح العلاج عسيرا . ثم هو يزداد كل يوم عسرا على عسر كلما تراخينا فى وضع الخطة السليمة لإيقاف هذا التيار المزعج المدمر لحياة الأمة وكيانها . فبالله عليك كيف يطمئن الشعب على حقوقه وهذه حال متعلميه أو حاكميه ! وبالله عليك هل تجدى القوانين التى تقننها الدولة وتنشرها حبرا على ورق كل يوم لحفظ الحقوق بين الناس وصون العهود واحترام العقود مادام الكثيرون من المشرفين على تنفيذ تلك القوانين لا يأبهون بها .

وأخيرا إنا نعيش فى عصر من أخص خصائصه محاولة الاقتصاد فى المجهود الجسمى والذهنى وذلك لتزاحم الأعمال وضيق الوقت ، وكلنا يود أن ينتج أكبر كمية ممكنة فى أقصر وقت ممكن . وأنفع الحقائق ما يمكن توصيله عن أيسر السبل وأقربها . وإذا كان العلم قد اتسع صدره قديما للدراسات الطويلة والمجلدات الضخمة ، فإنه يعنى اليوم بإحكام المعنى والمبنى . وإذا كان الأدب يباهى فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز ، فإنه أضحى يحرص الحرص كله على السهولة والجزالة والدقة والوضوح

هذه هى روح العصر ، وتلك هى مقتضياته ، ولا سبيل للخروج عليها

ابراهيم بيومى مدكور

ولا يرعوها إلا بقدر ما يملأون به بطونهم ويحشون به جيوبهم؟ وكيف يستطيع والحالة هذه معلم مهما كان قديرا أن يؤدي واجبه في هذا المجتمع الفاسد؟ سيضطره مثل هذا المجتمع إلى أن يجاريه ليعيش فيصبح مثلا سيئا لتلاميذه مخالفة أعماله لأقواله، ومهما ألقى على تلاميذه من تعاليم ونصائح ومهما ذكر لهم من عظات وأمثال ومهما ذكرهم بقول العرب « تجوع الحرة ولا تأكل بثديها » فإنهم سيتشككون في تلك الأقوال والأمثال ولا يؤمنون بها ويستحلون لأنفسهم ما ينافيها، وسيضطر مثل هذا المجتمع المعلم إلى أن ينسى أو يتناسى كل ما حفظه في كتبه وتلقاه على أساتذته عن نبذ الرذائل والتحلي بالفضائل، وسيعمل كما يعمل غيره مكرها أو راضيا وسط زوابع الغلاء المار للحصول على المال الذي يقوم بأوده هو وأسرته من غير وجهه المشروع. وستكون تعاليمه لتلاميذه تعاليم فارغة تافهة لا روح فيها ولا جدية لأنها تصدر منه عن قلب غير مؤمن بها؛ فإذا طالبهم بالصدق في القول والأمانة في العمل شعر في صميم قلبه بالرياء الذي قد يحز في قلبه بادئ ذي بدء؛ ثم يصيره التكرار مع الأسف عادة فيه. وإذا طالبهم بالصراحة والشجاعة والمثابرة على العمل وإتقانه في سبيل النجاح ناقض نفسه لأنه لم يعد يؤمن بأن هذه الفضائل توصل إلى النجاح، لأنه يرى بعينى رأسه ويسمع بأذنه كل يوم أن للنجاح في الحياة سبيلا آخر غير سبيل التحلي بهذه الفضائل، ويحس التلاميذ الأبناء وهم مرهفو الحس أن أستاذهم رجل متناقض ويملأ الشك فيه نفوسهم، وهم إذ يحسون بذلك لا يفيدون منه ولا يجدون جدوى في الاستماع إليه. ثم هم بعد ذلك يدخلون إلى الامتحان جهلاء خاوي الوفاض من كل شئ إلا من سلاح واحد مرن عليه الكثيرون وهو سلاح الغش الذي استشرى الآن بعد أن بدأ منذ سنين همسا في الامتحانات العامة والخاصة فلم يعد يقاومه الآن من الممتحنين إلا القليلون الذين يعرضون أنفسهم من جراء ذلك للتنكيلات.. وكيف يبقى للأساتذة في نفوس تلاميذهم بعد ذلك أية مكانة وقد عرفوا أنهم من جهة لا يفيدون منهم في تلقي العلم إلا قليلا، وأن لديهم من جهة أخرى طرقا غير مشروعة تقودهم إلى النجاح المطلوب في الامتحانات وسائر أمور الحياة! إنهم بعد هذا كله لا يستشعرون احتراما لمعاهدهم ولا لأساتذتهم. أليس هذا هو الحال في معظم مدارسنا اليوم؟ أليس هذا هو الحال الذي يشكوه كل أستاذ وكل ناظر وكل عميد! يالها من غمرة تترنح لها الأبدان وتنفطر لها القلوب؟ إنها غمرة السلف والأنانية والمادية التي رمانا بها الغرب فكسحت أمامها كل فضيلة وأماتت الضمائر وأبادت كل خير! ثم ماذا يجدي تغيير نظم الامتحانات وجعل نقل التلاميذ من فرقة إلى فرقة أخرى في ذمة المعلم بعد أن وضح أمامنا ما آل إليه المجتمع من فساد في الذمم حتى كاد يكون من المستحيل على العلم أن يجعل الذمة أساسا لحكمه على هؤلاء الأبناء الساكين! لقد دعونا إلى هذا التغيير في نظم الامتحانات من زمن بعيد وفي مؤلفنا « التعليم والمتعطلون في مصر » الذي صدر منذ ثلاثة عشر عاما؛ ولكن الحال الخلقية وقتذاك لم تكن تدهورت هذا التدهور، وكان هناك نوع من الحياء ومحاسبة الضمير. أما اليوم والحال أصبح كما وصفنا فإن الأمر لا يصح أن يقتصر على قوانين فقط تكتب على الورق ليكون تنفيذها هباء بل ليكون ضارا.. ولكن الأمر يتطلب علاجا حاسما ذا وجهين: وجه سريع يتعلق بالتلاميذ فيحال بينهم وبين الحزبية والمخربين وموظفي الدولة والرجال العاملين فيها فتنظف أداة الحكم ويحاسب كل منهم حسابا دقيقا على ما ارتكبوا وعلى ما جنوا على الأخلاق وبخاصة أولئك الذين مصوا دم الشعب وأثروا طفرة على حسابه. وفي تطبيق قانون الكسب غير المشروع الجزاء الأوفى إذا طبق تطبيقا عادلا نزيها — أما الوجه الثاني من العلاج فهو الذي تعتمد عليه الأمم في تكوينها لأبنائها وناشئتها، وهو علاوة على ما يتطلبه من خطة حازمة وطيدة يتطلب كذلك أن يؤمن به الجميع وأن يتعاون عليه الجميع خصوصا بعد أن رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا ما حل بنا.. وأن تتذرع به الحكومة وجميع الأحزاب والجماعات في الإصلاح، وأن يراعى فيه وجه الله والوطن والمصلحة الآجلة قبل المصلحة العاجلة. ذلك هو تربية الناشئة تربية يجعلها تؤمن بالله وتخافه وتراقبه في كل عمل من الأعمال، فيحاسب كل نفسه دائما واضعا نصب عينيه إرضاء وجه الحق والعدل والقانون دون أن يكون عليه رقيب غير الضمير الحي. هذه الخطة تحتاج إلى اقتناع وإيمان

المسلمون بين الشرق والغرب

عند ظهور الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

ظهر الإسلام والعالم منقسم إلى كتلتين كما ينقسم الآن ، كتلة شرقية تقودها دولة الفرس من الأكاسرة ، وكتلة غربية تقودها دولة الروم من القياصرة ، والتاريخ يعيد نفسه ، وقد وقع العرب بين هاتين الكتلتين فيما يقع فيه الآن أهل الشرق الأدنى بين الكتلة الشرقية بقيادة روسيا الشيوعية ، والكتلة الغربية بقيادة أمريكا وإنجلترا ، وكان كل من الكتلتين يقودفريقا من العرب إلى ما بينهما من حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، بل كانوا هم الذين يغرمون دائما من أنفسهم وبلادهم ، وكان الغنم لصاحب النصر من الفرس أو الروم

وكانت السياسة الخادعة المفرقة قد قسمت العرب إلى قسمين وأقامت فيهم دولتين : تقوم إحداهما بجانب الفرس ، وهى دولة المناذرة بالعراق ، وتقوم الثانية بجانب الروم ، وهى دولة الغساسنة بالشام ، وكان الفرس هم الذين يوجهون سياسة الدولة الأولى ، كما كان الروم يوجهون سياسة الدولة الثانية ، فإذا قامت حرب بين الفرس والروم كان المناذرة بجانب الفرس ، وكان الغساسنة بجانب الروم ، وقام فريق من القبائل العربية بجانب المناذرة ، وقام فريق آخر منها بجانب الغساسنة ، وقد انقسم العرب بهذا على أنفسهم ، وقامت به حروب كثيرة بين المناذرة والغساسنة ، وبين القبائل العربية بعضها وبعض ، حتى ضعف شأن العرب بهذه الحروب ، وكانت بلادهم تقع فريسة فى أيدى الطامعين فيها بلدا بعد آخر

وكانت ببلاد العرب دولة كبيرة يلتف العرب جميعا حولها ، وهى الدولة الحميرية باليمن ، وكان كل من دولتى الفرس والروم لا يرتاح إلى وجودها ببلاد العرب ، لأنها كانت تأبى أن تقف منهما موقف دولتى المناذرة والغساسنة ، فيعمل كل من الروم والفرس على إضعافها والاستيلاء على بلادها ، وكان أن سلط الروم دولة الحبشة على هذه الدولة ، فاستولت عليها قبيل ظهور الإسلام . وحكمتها نحوا من سبعين سنة ، حاولت خلالها أن تستولى على بلاد الحجاز وغيرها من بلاد العرب ، ولما رأت أن الكعبة هى الرمز الدينى الذى يجمعهم ، قصدت مكة لتخريبها فى وقعة الفيل المعروفة ، وقد انتهت هذه الوقعة بهزيمتها على ما هو معروف فى التاريخ ، ثم كان أن قام سيف بن ذى يزن من بقايا الحميريين يحاول استعادة دولتهم ، ولم ير وسيلة إلى هذا إلا أن يستعين بالفرس أعداء الحبشة والروم ، فأمدوه بجيش أمكنه أن يخرج الحبشة من اليمن ، وأن يقيم سيف بن ذى يزن ملكا على دولة آبائه ، وكان لذلك رنة فرح فى الحجاز وغيره من بلاد العرب ، فأتت الوفود من هنا وهناك لتهنئته باستعادة ملك الحميريين وكان منها وفد الحجاز وعلى رأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بين رجاله أمية بن أبى الصلت الثقفى الشاعر ، فهنأه بقوله :

لايطلب الثأر إلا كابن ذى يزن
فى البحر خيم للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت بعامته
فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة
من السنين يهيج النفس والمالا

وإلى فترة طويلة من الزمن وإلى انتحاء القادة والزعماء ناحية جديدة مستمدة من علوم الأخلاق ؛ بل من وحى السماء بل من رب السموات والأرض الذى يعلم ما يصلح المجتمع وما يفسده « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . هذه الخطة التى تربى القلوب تربية تؤمن بربها وتخشاه كفيلة بأن تكون من ناشئتنا الأخلاق الفاضلة التى تسمو بنا عن كل الصغائر ، وتدفع بنا سريعا نحو السمو ونحو المجد ونحو العزة ؛ وهى لا شك ترضى ما ضينا وحاضرنا ومستقبلنا — ألا هل بلغت اللهم فاشهد

عبد الحميد فهمى مطر

حتى أتى بنى الأحرار يقدمهم
تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

إلى أن قال :

فالقط من الملك إذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
واشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا
فى رأس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولكن كسرى الفرس لم يقدم هذه المساعدة لسيف بن ذى يزن خالصة لوجه الله تعالى ، بل كانت فى نظير خراج من اليمن يؤدى إليه كل سنة ، فكان سيف بن ذى يزن يؤديه إليه ، وكان جيش كسرى الذى أعاد إليه ملك اليمن يشاركه فى حكمه ، فلما توفى ضم الفرس إليهم ملك اليمن ، وصار الذى يتولى أمره واحد منهم ، ولم يستفد أهله من حركة سيف بن ذى يزن إلا أن استبدلوا ملك الفرس بملك الحبشة

فلما أتى الإسلام لم يرض أن يقف كما وقف العرب ذلك الموقف المعيب من تينك الكتلتين ، لأنه لا يليق أولا بالعرب كأمة يجب أن ترعى كرامتها ومصلحتها قبل غيرها ، ولا يصح أن تجعل فريقا منها ذيلا لدولة الروم ، وفريقا آخر ذيلا لدولة الفرس فينقسم بعضهم على بعض فى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ثم لا يليق ثانيا بدين أتى للسلام والتعارف وهداية الناس كافة أن يشترك فى هذه الحروب الفرقة الآثمة ، لأنها لم تكن قائمة لغرض شريف ، وإنما كان يقصد منها توسيع السلطان ، وبسط سيادة الأقوياء على الضعفاء ، ليعظم الخراج الذى يجبونه منهم ، ويتوسعوا فى الترف الذى ينفق فيه ذلك الخراج ، فيزداد الأقوياء غنى وطغيانا ، ويزداد الفقراء فقرا ومذلة

فآثر الإسلام أن يقف موقف الحياد من تينك الكتلتين ، لا يهمه إلا غايته الشريفة التى يسعى إليها ، ولا ينظر إليهما إلا فى حدود هذه الغاية ، وفى حدودها كان حياده فيه شئ من العطف نحو دولة الروم ، لأنها لم تكن حينئذ تملك إلا قليلا من بلاد العرب ، وكانت بلاد الشام التى تقوم فيها دولة الغساسنة لا تعد من بلاد العرب فى ذلك الوقت إلا على نحو التجوز ، أما دولة الفرس فإنها كانت متسلطة على كثير من بلاد العرب ، ولم يكن خالصا من سلطانها إلا بلاد الحجاز ونجد ، وكان الإسلام يرى أنه سيقوم أولا على أكتاف العرب ، لنشأته بينهم ، فلم يرح لاستيلاء الفرس على هذه البلاد التى يعدها وطنه الأول ، وهذا إلى أن الروم كانوا أهل كتاب ، فكانوا أقرب فى العقيدة إلى الإسلام من الفرس

وكان من مظاهر عطف الإسلام على دولة الروم أن حزن المسلمون وهم بمكة قبل الهجرة على غلبة الفرس لهم ، حتى نزل فى هذا قرآن يعدهم بنصر الروم على الفرس ، وذلك قوله تعالى فى أول سورة الروم

« الم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

وقد مكن ذلك موقف الإسلام من تينك الكتلتين إلى أن صار له شئ من القوة بالمدينة ، ورأى أن يدعو رؤساء تينك الكتلتين إلى أمر نجتمع عليه كلمتهم ، وتبطل به هذه الحروب بينهم ، فيسود السلام بين الشعوب البشرية ، وتقوم بينهم علائق الصفاء والمودة ، ولا يكون هناك أقوياء يتحكمون فى الضعفاء ، ولا أغنياء مترفون ، وفقراء مدقعون ، بل يعيش الضعفاء بجانب الأقوياء ولهم مثل حقوقهم ، ويعيش الفقراء بجانب الأغنياء قريبا من عيشهم ، حتى لا يكون هناك فارق كبير بين هذه الطبقات ، ولا يعيش الأقوياء والأغنياء فى نعيم وترف ، والضعفاء والفقراء فى حرمان وبؤس

وقد وقف الإسلام بهذا موقفا كريما بين تينك الكتلتين ، ولكنه لم ينل منهما ما يليق به من التقدير ، فأغضبت كسرى الدعوة التى وجهت إليه ، وبعث إلى عامله باليمن يأمره بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان شأن الدعوة التى أرسلت إلى رؤساء الكتلة الرومية ، ثم كان أن جر كل من الكتلتين الإسلام إلى حروب لم يكن يريدها مع أن الظفر كان فيها له ، وكان من خير الإنسانية أن يجيباه إلى إبطال هذه الحروب ، ولو أنهما أجاباه إلى هذا لكان للعالم اليوم شأن عظيم غير هذا الشأن

السلام مة — عبد المتعال الصعيدى

رد على رد :

أجل.. ذو العقل يشقى !

للاستاذ محمد رجب البيومى

حين يكتب القارئ نقداً لمقال قرأه ، يود من أعماق نفسه أن يصل إلى الحقيقة على ضوء ما يعقب المقال من حوار وحديث ، وواجب المنقود أن يواجه الحقائق سافرة واضحة ، ثم يجيب عنها واحدة واحدة ، إذ أن القراء يتتبعون النقاش فقرة فقرة ، ويوازنون بين الطيب والخبيث فى دقة بالغة ، ويصدرون الرأى عن ثقة واقتناع

وقد ناقشت الأستاذ شاكر بما لا أستطيع أن أحيد عنه من الأدب والذوق ، راجياً أن أجد لديه الإجابة الشافية المقنعة ، فماذا وجدت ؟ ! وجدت أن الأستاذ المهذب قد خصنى بكثير من الزراية والجهل ، وقلة المعرفة ، وضعف المنطق ، وسوء الأدب ، وليته وقف عندى بشتائمه وسبابه ، بل انتقل إلى الأستاذ الكبير سيد قطب ، فرماه ظالماً بسوء الفهم ، وولج إلى ضميره ، فاتهمه بقبح القصد ، وخبث الطوية ، ومعاندة الحق لهوى فى النفوس يعلمه الله ، وبالحرص على تتبع المثالب القبيحة ، واجتناب المناقب الفاضلة ، وبالغلو الأرعن فى سياق المثالب وتفسيرها ، ثم ينضح إناؤه بهذه التهم الجاحدة ملقياً بها فى عنف وحدة ، إلى قراء الرسالة ، وهم جميعاً يعرفون فضائل قطب فأين ذهبت عنه الحصافة والاتزان ؟

وقد حاولت أن أجد لدى الأستاذ فى رده الطويل المريض شيئاً يقنع المنصفين ، فما وجدت غير التنقص والسباب ! ! وقد دعوته فى مقالى السالف إلى هجر الوعظ والإرشاد فى الجدل العلمى ، فصاح يقول على رؤوس الأشهاد « من العسير ان أكتب فى هذا الموضوع دون أن أتوشح بذيل من ذيول الوعظ والإرشاد » ، واندفع مع ذيوله الضافية إلى أبعد مدى وأقصاه ، وهكذا ضاعت الحقائق التاريخية لدى كاتب يزهى بنفسه ، فيقول إنه (يعرف حق الكلام ، ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده ، وإن للعقل شرفاً لا يرضى معه بالتدهور فى مواطىء الغفلة وسوء الأدب والخوض فى العبث والجهالات)

ولا أريد أن أكيل للأستاذ صاعاً بصاع ، ضناً بكرامتى ، ولكنى أحاول أن أجمع من مقاله المريض فقرات مبعثرة مضطربة فى أنحائه ، ساقها مساقاً مهلهلا لا يعرف الدقة والحدود ! لأستطيع دحضها بالرأى الموجز الصريح ، جزعاً على الحقيقة العلمية من الغرق فى إطناب الثائر وإسهاب الخطباء

لقد سطر الكاتب خمسين سطراً من مقاله تبدأ من قوله « دعنى أيها السيد أعيد عليك ، إلى قوله خالصة من قلبى بلا مسوح وعظ وإرشاد » ! سطر هذه السطور ليقول « إن أخبار معاوية وعلى جاءت عن طريق الرواية فحسب ، ولكلا الرجلين شيعته التى تنسج الحوادث وتلفق الأخبار » وقد كنت أقرأ سطوره الطويلة وأنا أسأل نفسى أذلك نقاش أم مجرد كلام ؟ ولو كانت النتيجة التى وصل إليها الكاتب صحيحة لاسترناه وسكتنا عنه ، ولكنها باطلة كل البطلان ، ولو جاز لإنسان أن يأخذ بها فى شىء لمزقنا جميع صحف التاريخ الإسلامى من أول عام فى حياته إلى مائة عام أتت عليه ، فلا نتكلم عن أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ويزيد والحسين وعمر بن عبد العزيز ! ! حتى يعرف الأستاذ شاكر ، اسم الراوى وأباه وأمه ، ولحسن الحظ أن كتاب التاريخ ورواته لم يستمعوا لهذه الضجة ، وقدموا إلينا مدداً وفيراً من الأحداث التاريخية ! ! ولم تسجل حوادث معاوية وأضرابه عند مؤرخ واحد حتى يتهمه الأستاذ بالافتراء والهوى ، ولكنها أنباء متواترة ، رواها جميع المؤرخين دون استثناء ، ولو أن شيعة على وحدهم الذين اختلقوا مثالب معاوية ، لسكت عنها بعض المؤرخين ؟ ولكن هيهات هيهات !

فهل وجد من المؤرخين من أنكر أن معاوية قد أحال الخلافة إلى ملك عضوض مخالفاً بذلك تعاليم الإسلام ؟ وهل وجد من المؤرخين من أنكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟ وهل وجد من المؤرخين من أنكر أن معاوية قد جعل جزءا من بيت المال الرشوة وشراء

الضمائر فى يومة يزيد »

لم يوجد من أنكر ذلك من المؤرخين ، ولكن الأستاذ شاكر ينكره ويدعى أن المؤمنين قبله قد أنكروه ، وهو بحمد الله لم يكن مؤرخا ، ولا نعلم أنه خط كتابا فى التاريخ ، فلم ينسب نفسه إلى قوم ليس منهم ؟

ويدعى الأستاذ أنه لم يفهم شيئا مما كتبته فى تحديد معنى الصحابى ، فإذا وجدنى أستدل بحديث الرسول عن عبد الله بن أبى لجأ إلى مخرج ينقذه مما واجهته به فذكر أن الرسول قال معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، خشية أن تدور على ألسنة المشركين الذين لا يميزون مؤمنا عن منافق ، وكلهم عندهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم !! وأنا أقول للأستاذ إن المشركين كانوا يميزون المؤمن من المنافق ، ويعرفون نفاق ابن أبى كما يعرفه المؤمنون سواء بسواء ، بل إنه تعاهد معهم على التنكيل بالدعوة المحمدية ولمسوا من نفاقه ما شجعهم على التعاون معه ، وكان إذا خلا إليهم يقول « إنا معكم إنما نحن مستهزئون » فليس هناك مشركون لا يميزون مؤمنا عن منافق ، وعلى الأستاذ أن يبحث له عن مخرج آخر ، لو يستطيع !!

وإذا كان الأستاذ يصمنى بالجهل وسوء الفهم وقلة المعرفة ، ثم ينقل فقرات طويلة من مقاله ليبين لقراء الرسالة حقيقة ما قال ، ومن هذه الفقرات قوله « فإذا أخطأ أحدهم فليس يحل لهم ولا لأحد من بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم » إذا كان الأستاذ ينقل ذلك ، فلم لم يجب عما وجهته إليه بشأن هذه الفقرة ، فقد قلت إن الصحابة قد طعن بعضهم بعضا واستباحوا ما حرمه عليهم ، أفيكونون بذلك قد خرجوا عن منهج الإسلام ، أم أن الأستاذ شاكر يرسل كلامه فى الهواء فإذا ناقشه كاتب متواضع مثلى لجأ إلى الشتائم والسباب !!

ولقد دعوت الأستاذ إلى النقد الموضوعى فقال فى الرد على ذلك « إن النقد الموضوعى ينبغى أن يسبقه التحقق من صحة هذه الحوادث تحققا ينفى كل ظنة » وأنا أقول له مادمت تنكر هذه الأحداث المتواترة لدى المؤرخين ، فلن تقدم للقارئ ما يقنعه ويشفيه ، وأنا أعلم أن الطعن فى رواية الآثار الفردية سائغ ومقبول ، أما الوقوف فى وجه التاريخ وتفنيد ما أجمع عليه المؤرخون بلا دليل ، فلم يجد من يصغى إليه فى كثير أو قليل

ولقد نصحنى الأستاذ شاكر أن أضع من يدى عبء القلم ، فإنه ثقيل ثقيل ، وذكر أن الحياء يمنعه أن يترك كلامى بلا جواب !! وأنا أعجب للحياء الذى يمنع صاحبه من السمت المريح ، ثم يدفعه إلى السب القذع والطعن الجارح فى كاتب كبير كالأستاذ سيد قطب !! فضلا عما وجهه إلى من قذائف ظالمة ، ثم ماالفرق بينى وبينه حتى يطلب إلى أن أكف عن الكتابة ، وما هى مؤلفاته التى تبيح له أن يتقدم إلى بمثل هذا الأمر ، لأحفظ له حقه فى الإرشاد والتوجيه ؟ ! أخشى أن يكون استياؤه المفزع من نشاط الأستاذ قطب وإنتاجه قد دفعه إلى الهجوم على بألفاظه الحداد !! وإنى لأستغفر الله له رغم ما أصابنى من كلوم !!

(أبو تيج) محمد رجب البيومى

مصلحة البلديات

تقبل المطاءات بمجلس بور سعيد البلدى حتى ظهر يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٥٢ عن عملية توريد موتور كهربائى وأدوات وأجهزة لورشة السيارات

وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة خمسين مليما نظير مبلغ ١٠٠ مليم للنسخة ، وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمته لا يلتفت إليه ٨٧٩

دفاع عن العباسة

للأستاذ ثروت أباظة

كتب الأستاذ باش أعيان مقالا قيما فى الدفاع عن العباسة بنت المهدى ، ولقد أثار مقاله هذا فى نفسى فكرة كانت ما تزال تردد بها ، وكنت ما أزال أفكر فى الكتابة عنها حتى قرأت هذا المقال ، فوجدت الفرصة قد دعتنى إلى الكتابة . فالأستاذ باش أعيان نقل إلينا مجملا من أقوال المؤرخين عن سبب نكبة البرامكة ، ونقل إلينا أيضاً مجملا من آرائهم فى مسألة زواج جعفر من العباسة ، وهناك أمران فى هذا الشأن لا بد من تقريرهما .

فإن المؤرخين قد أجمعوا على اختلاف فى أسباب نكبة البرامكة والاختلاف بينهم دليل قاطع على الجهل بحقيقة نكبة البرامكة ، والذى نستطيع أن نخلص به من هذا الاختلاف هو أن نكبة البرامكة التى حدثت إنما هى الحركة الظاهرة مما كان يعتمل فى نفس الرشيد ..فكل حركة تحدث من الإنسان كبيرة كانت أو صغيرة تشتمل فى الواقع على عاملين : العامل الظاهر وهو الذى يظهر إلى النور ، ويكون الواقعة ، والعامل النفسى وهو المختفى فى أغوار النفس لا يظهر . ولقد أراح الأستاذ باش أعيان نفسه وأراحنا حينما ذكر لنا ذلك الحديث بين الرشيد وأخته علية وهو يقول لها إن قميصه الذى يرتديه لو علم السبب فى قتل جعفر لمزقه فليكن جعفر إذاً أخا الرشيد فى الرضاعة ، وليكن رفيقه فى الملعب ، وليكن صديقه فى الشباب ، وليكن وزيره فى الملك . ليكن أيا من هذه الصفات ، أو ليكن جميعها ؛ إنما الواقع من الأمر أنه قتله ... لماذا قتله ..؟! لا يستطيع أحد أن يعرف ، بل إننى لأشك كثيراً فيما إذا كان الرشيد نفسه يعرف .. فالكم تخادع نفسها نفسه ، ولعل الرشيد أوجد سبباً فى نفسه يطمئنها به إلى عدله إن هو قتل جعفر .. لعله أوجد هذا السبب فى ظاهر نفسه ، بينما أوغل السبب الحقيق فى الاستخفاء بين أطواء النفس بعيداً من كل مظنة .. بعيداً عن تفكير الرشيد ذاته ، فلو أن الله جل وعلا بعث الحياة اليوم فى الرشيد ، ونفض عنه غبار القبر والسنين ، واستطعنا نحن أن نسأله السبب فقاله .. لو حدث هذا فإننا نستطيع على رغم كل ما حدث أن نتشكك فيما يقول . وإن هذا الاختلاف بين المؤرخين أمر عجيب فى ذاته ، فإن أسبابهم جميعاً لا تعارض بينها ، فإذا وجد واحد منهم ، فهو لا يمنع وجود الأسباب الأخرى .. فما ضر لو كانت هذه الأسباب مجتمعة هى الأصل فى نكبة البرامكة بجانب السبب الحقيق فى نفس الرشيد .. وما ضر أيضاً لو كانت هى مجتمعة سبب النكبة، وليس هناك سبب آخر إلى جانبها .

من هذه الأسباب فى قول بعض المؤرخين أن الرشيد أبى على جعفر أن يتزوج العباسة زواجاً كاملا ، وأحل له بعقد الزواج النظر وحده ، دون ما يستتبع العقد من صلات .. ويقول هؤلاء المؤرخون إن العباسة لم تعبأ بما نص عليه عقد الرشيد وأكملت مقتضيات العقد مع زوجها ، فكان ثمرة هذا الإكمال هو بضع بنين لهم .

وقد رأى الأستاذ باش أعيان أن فى هذه الرواية تعدياً على مقام العباسة بنت المهدى ، المتصلة بأسباب غاية فى القوة إلى العباس عم النبى عليه الصلاة والسلام ، وأنا لا أدرى علام يدافع؟ وما الذى فعلته حتى تتهم ؟ إن العقد الذى أراد أخوها أن يكون عقد نظر فحسب غير موجود بين عقود الشريعة الغراء ، وإنما هو عقد زواج ، ومعروف شرعاً أن الشرط الفاسد فى عقد الزواج لا يفسد العقد ، بمعنى أن الشرط يبطل ويصح العقد ، فإذا تزوجت إحداهن واشترطت فى عقد الزواج ألا تقيم مع زوجها إلا إذا أقام ببغداد مثلا أو البصرة ، فإن عقد الزواج صحيح والشرط باطل ، فإذا انتقل الزوج إلى القاهرة تعين على الزوجة أن ترافقه إليها ، وتعيش معه فيها . وتعاشره زوجة بعقد

صحيح، ولا قيمة للشرط الذى اشترطته بل هو باطل غير موجود، فإذا اشترط الرشيد على جعفر فى عقد النكاح ألا يدخل بزوجه العباسة بطل الشرط وصح العقد . والعباسة لا بد تعلم هذه الحقيقة ، وهى على الأقل ان تعدم من يخبرها بها . فإن هى أبطلت الشرط فإنما تسير على خطى الدين الحنيف ، غير مجانبة الخلق القويم الذى يجب أن تكون عليه بنت قريش ، ولا ضير عليها إن هي أغضبت الرشيد لترضى الله

وبعد فالعباسة غير متهمة لتحتاج إلى دفاع ، بل انها كانت فى موقف لا بأس بها فيه ، وهي تأبى على أخيها الرشيد أن يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرمه

تلك هى العباسة على رواية المؤرخين الذين يقولون بوجود العقد ، أما هؤلاء القلة الذين يقولون بعدم وجود العقد فقولهم مردود هزيل ، فما كان أيسر انعقاد العقد فى هاته الأيام بحيث يصبح عدم العقد ضرباً من الجنون الذى لم يعرفه أحد عن جعفر أو العباسة ، ما كان أيسر على العباسة أن تشهد اثنين من المخلصين لها أو لجعفر على أنها زوجته نفسها ، فترتفع بذلك عما يريد هؤلاء المؤرخون أن يرموها به

فإذا كانت المسألة كلها مختلقة ، ولا صلة للعباسة بنكبة البرامكة فهى — من باب أولى — فى غنى عن كل هذا الكلام

بقى أمر أحب أن أتحدث عنه قليلا فى هذه المناسبة . فقد ذكر الأستاذ باش أعيان أن بعض المؤلفين المعاصرين قد أنشأوا الفصول الرائعة عن حب جعفر للعباسة ، واتخذوه موضوعاً لرواياتهم ، وإننى لست أرى بأساً من ذلك أبداً ، فإن المؤلف الفنان غير مقيد مطلقاً بالتاريخ ، وإنما شأنه وشأن التاريخ شأن المهندس والمولد الكهربائى ، فالمهندس يستنبط القوة الكهربائية ثم هو بعد ذلك على أتم الحرية .. يضيء بها أو يحرك الآلات ، أو يفعل ما شاء له هواه دون أن يقطعها

والفنان إزاء التاريخ تستلهم منه الوحى ، كأنه الشرارة من المولد الكهربائى ، ثم هو يحور قصته أو روايته ، ويوجهها إلى حيث يرضي نفسه ، دون أن يخل بالحوادث الجوهرية ، التى تقوى على الإهمال أو التحريف

فلتكن رواية العقد بين جعفر والعباسة مختلقة ، أو لتكن منحرفة ، أو لتكن كما تشاء ، فالفنان قد رأى فيها موضوعاً يصلح لأن ينشئ منه فنا فأنشأ ولا جناح عليه

وإذا أراد المتزمتون من المؤرخين ألا يعترفوا بهذا فعليهم أن ينظروا إلى العمل الفنى على أنه عمل فنى فحسب ، اختير لأسماء أبطاله أسماء كان لهم فى التاريخ شأن

وبعد فإلى الأستاذ باش أعيان خالص الشكر أن أتاح لى هذه الفرصة ، وإليه فى حاضرة الإسلام الأزهر خالص التحية

ثروت أباظة

جامعة فؤاد الأول

كلية طب قصر العينى

تعلن كلية طب قصر العينى — جامعة فؤاد الأول — عن وظيفة معيد كل الوقت خالية بقسم الاقربازين بها ويشترط فيمن يتقدم لها أن يكون حاصلا على درجة بكالوريوس الطب والجراحة بتقدير جيد على الأقل ومن يقع عليه الاختيار يعين فى وظيفة معيد بماهية ١٥ جنيه شهريا ويمنح بدل التفرغ المقرر نظير عدم اشتغاله بالخارج وتقدم الطلبات لسعادة عميد الكلية فى ميعاد غايته عشرة أيام من تاريخ النشر ٩٤٩

دعوة محمد

لتوماس كارليل

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الإخلاص والصدق في دعوة محمد

إن البغض والحسد والحقد والوجدة طبيعة من طبائع البشر ، وخاصة إذا غذاها التعصب الأعمى ، فإذا قام إنسان ما بعمل جليل ، عمت فائدته على بعض الناس وشملت من حوله ، كثر حساده وشانئوه ، فنراهم يهبون والحقد يملأ نفوسهم والبغض يكاد يمزق صدورهم ، محاولين الانتقاص من قدر عمل هذا العظيم ، هذا بالنسبة لمن يقوم بعمل نافع في حدود بيئته ، فما بالك برجل ، كمحمد جاء بما فيه خير البشرية جمعاء وصلاح الكون كله ، وقد بلغ من المرتبة والرفعة في نفوس مئات الملايين من الناس ما لم يبلغه أي إنسان مهما كانت أعماله . فليس عجيباً أن نرى الكثيرين ممن أعماهم التعصب وملأهم الحقد ، يحاولون النيل من محمد ومما جاء به ، ولو عقلوا لأراحوا أنفسهم وأراحوا غيرهم من جعجعتهم وصخبهم ، لأنهم كالرجل الذي ينطح الصخرة محاولا تحطيمها فإنه سيرتد وقد أدميت قرونه

فالمتعصبون من النصارى والملحدون . يسيئهم أن يعرف الناس حقيقة دعوة محمد . فيذيعون أن محمداً لم يكن يبغي من قيامه بهذه الدعوة إلا الشهرة والنفعة الشخصية والمفاخرة بالجاه والسلطان وإشباع نزعة حب السيطرة التي يملأ نفسه ، وقد وغلوا في عرض هذا الرجل ودعوته بما لا يصدقه عقل ، ويستهين أحط الناس قدراً أن يذكروه على ألسنتهم . وهم يعلمون أنهم كاذبون مدعون .

إن محمداً لم يكن يريد مفاخر الجاه والسلطان والشهرة والسيطرة ، كلا وايم الله ، فلقد كان في قلب ذلك الرجل العظيم ذي النفس الممتلئة خيراً ورحمة وبراً وحناناً ، ذي العقل المتميز بالحكمة والإربة والنهى والحجى ، أفكار أسمى من الطمع الدنيوي الذي يستوي بنو البشر الآخرين في الدرجة سعياً له ، ونوايا أشرف من السعي في طلب السلطة والجاه ... ، لم يفكر يوماً أن يكون كما يتمنى كل إنسان ، ولو أنه أراد الملك لناله ، ولو سعى وراء المال لملأ منه خزائن كثيرة ، ولو ابتغى السيادة لكان ما أسهلها عليه ، ولو أراد أن يجمع بين كل هؤلاء جميعاً لما استعصى عليه الأمر . ولكن كيف يكون ذلك وهو ذو النفس الكبيرة التي كان كل همها إسعاد البشرية وإنقاذها مما هي فيه ، إننا لا يمكن أن نتهمه بعدم الإخلاص لدعوته ، لأنه من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين فيما يعملون ، ولولا ذلك لما نجحت دعوته ، لأن الإخلاص هو أساس كل نجاح . فبينما نرى الآخرين الذين يبتغون عرض الحياة الدنيا يرضون بالإصلاحات الكاذبة ويسيرون خلف الاعتبارات الباطلة ، نرى محمداً يأبى أن يستعين بمألوف الأكاذيب ويتوشح بما كان متبعاً في زمانه من الخرافات والأباطيل ، فقد كان منفرداً بنفسه العظيمة مقتنعاً بحقائق الأمور ، متفكراً في أسرار الكائنات ، بل كان سر الوجود يسطع لعينيه — كما قلت — بمخاوفه وأهواله ومباهجه وزخارفه ، فلم يستطع شيء من الأباطيل أن يحجب عنه كل ذلك ، وكأني بلسان ذلك السر الهائل يناجيه في خلواته « ها أنذا » . إن هذا الإخلاص في الدعوة والتفاني في القيام بها لا يخلو من معنى إلهي مقدس ، وما كلمات محمد التي كان ينطق بها ، إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة وصميم الواقع ، كان إذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية ، وكل القلوب خاشعة واعية ، وكل كلام بعد ذلك غير كلامه هباء ، وكل قول سوى قوله جفاء .

لقد ظل منذ أيام أسفاره ورحلاته إلى بلاد الشام ، تجول بخاطره آلاف من الأفكار التي لا يمكن أن تأتي إلا لكل ذي عقل راجح ونظر ثاقب . من أنا ؟ وماذا أكون ؟ ما هي الحياة وما قيمتها ؟ وما هو الموت وماذا سيكون بعده ؟ وماذا أعتقد وماذا أفعل ؟ وهل أعبد ما يعبد هؤلاء القوم من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر ؟ . كل هذه الأسئلة والخواطر كانت تجول بفكره في خلواته ، فهل أجابته عنها صخور جبل حراء أو ما يحيط به من الفلوات والقفار ، أو ما كان يمر به من شعاريخ

طود الطور . كلا لم يجبه شيء من ذلك حتى ولا قبة الفلك الدوار ، أو تعاقب الليل والنهار ، ولا النجوم الزاهرة ، ولا الكواكب الظاهرة ، ولا الأنواء الماطرة . لم يتلق جواباً من كل هذه الأشياء ولا من واحد منها . ولكن سرعان ماجاءه الجواب شافياً مبيناً منقذاً له من حيرته واضطرابه ، في خطاب الله العلي القدير لنبيه موسى : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » . إنه جواب لا لبس فيه ولا غموض ، وإنه السر الذي أودعه الله روح محمد ، فنزل برداً وسلاماً على روحه

والذي يجب على كل إنسان أن يسأل نفسه عنه هو ما كان يجول بخاطر محمد ، وما أحسه في نفسه ذلك الرجل القفري . إن هذه هي المسألة الكبرى والأمر الأهم — الذي يجب على كل إنسان أن يضعه في الرتبة الأولى من تفكيره إذ أن كل شيء بجانبها عديم الأهمية

إن هذه المسألة لو بحثنا عنها في فرق اليونان الجدلية أو نقبنا عنها في روايات اليهود الملهمة أو فتشنا عنها في نظام وثنية العرب الفاسدة فإننا لن نجد لها جواباً شافياً . وأما فيما جاء به محمد فإن الجواب بطالعنا في كل مكان سواء في القرآن أو في أقوال محمد نفسه الذي لا ينطق عن الهوى ، وهذا دليل على أهميتها وخطرها

لقد سبق لي أن قلت إن أهم ما يميز الباطل وأولى خصائصه ، هي نظره خلال ظواهر الأمور إلى بواطنها ، وأنه يقيس الباطن على الظاهر . أما الاعتبارات والإصلاحات والمادات والاستعمالات فإنه لا ينظر إليها سواء أكانت جيدة أم رديئة ، حقة كانت أم باطلة . لقد كان محمد ينظر إلى الأوثان التي يعبدها قومه ويقول في نفسه : إن هذه المعبودات لا بد أن يكون وراءها شيء . وما هي إلا رمز وإشارة لمعبود أعظم ، ولكن القوم ضلوا السبيل إليه ، وإلا كانت زوراً وباطلا وقطعاً من الخشب لا تضر ولا تنفع ، وهذا أكبر شاهد على إخلاص محمد لقومه فهو يريد أن ينقذهم مما هم فيه من ظلمة واضطراب ، ولكنهم لجوا في بادئ أمرهم وعتوا عتوا كبيراً

* * *

لو كان محمد يريد الجاه والسلطان لما استطاع أن ينقذ هؤلاء العرب الجفاة ولا قدر على تحطيم معبوداتهم . لقد اتهموه بأبشع التهم والصقوا به أحط الصفات . فقالوا إنه ساحر كذاب « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » وقالوا إنه شاعر مجنون « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » ثم دعوه إلى عبادتها وترك دعوته مرغبين ، ثم مغرين ، ثم حرموه وأهله وعشيرته مصاهرتهم والعمل معهم ، وحرموا على العرب التقرب منهم حتى كادوا يهملون ، ثم هددوه بالقتل إن هو لم يثب إلى رشده ويرجع عما هو فيه من تحقير آلهتهم والنيل من معبوداتهم ...

ولكن ما لمحمد وهذه المعبودات ، وأنى تؤثر في نفسه هذه الأوثان ولو أنها رصعت بالشهب لا بالذهب ، وكيف يسيغ له عقله أن يعبد هذه الأصنام ولو عبدها الحجاج من عدنان والأقيال من حمير ، وأي خير يرجوه منها ولو عبدها الناس جميعا ؟

لقد عاش محمد حياته الأولى بين قومه رائحاً غادياً ولكنه كان في الحقيقة يعيش في واد من التفكير المنظم والانظار الثاقب ، وقومه كلهم في وادیهم يعمهون وفي ضلالاتهم سادرون وعن الحق مبتعدون ، عاش ماثلا بين يدي ربه ، سابحة أفكاره في ملكوت السموات والأرض ، فلما سطعت لعينه الحقيقة الكبرى وجاءه الناموس الأعظم وانشرح صدره وزالت كربة نفسه . ما كان له إلا أن يجيبها ، وإلا فقد حبط سعيه وضاع جهده وأصبح هو وقومه سواء بسواء

فقال لنفسه : فلتجبها يا محمد ، أجب وإلا كنت من الخاسرين .. أجب فقد وجدت الجواب الذي حيرك طوال هذه الأعوام ..

أفبعد هذا يزعم الكاذبون الحاسدون أن الذى أقام محمداً وأثاره هو الطمع وحب الدنيا والرغبة فى الجاه والسلطان ، حق وايم الله وهوس وسخافة ، وظلم بين وإجحاف للحق وتضليل للحقائق . ليقل لى هؤلاء الطاعنون ، أى فائدة لرجل مثل محمد فى جميع بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها ، وأى خير له فى تاج كسرى وصولجان قيصر . بل أى قيمة عنده لجميع ما بالأرض من تيجان وعروش ؟! لأنه يعرف المصير الأخير لجميع الملك والتيجان .. وأين تصير الدول جميعها بعد حين من الزمان « كل من عليها فان » . أيطمع فى مشيخة مكة وقضيبها ذا الطرف المفضض .. أم فى ملك كسرى وتاجه ذى الذؤابة الذهبية .. أم فى صولجان قيصر وعزة ملكه ؟ وهل فى كل هذا منجاة للمرء من هول يوم الحساب إن لم يكن له من عمله منجاة ومظفرة . كلا . إذن ما علينا إلا أن نضرب برأى هؤلاء الجائرين القائلين إن محمداً كاذب لا يبغى من دعوته إلا السلطان والجاه ، عرض الحائط ، فإن مذهبهم عار وسبة على البشرية فلقد أصبح من أكبر العار على أى إنسان متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يشاع من أقوال مفتراة وأكاذيب مافقة عن دين الإسلام وأنه كذب ، وأن محمداً رجل خداع مزور شهوانى فاسد . بل أصبح من أوجب الواجبات علينا أن نحارب كل من يحاول أن يلصق هذه التهم وأمثالها بمحمد ودعوته إن كنا نريد للحق أن ينتصر وللعالم أن يسير نحو سلام دائم وحياة لا اضطراب فيها ولا فتن ، لقد آن لنا أن نقول لهؤلاء الذين يشيعون مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، إنكم أنتم الكاذبون الخداعون . إنكم أنتم الذين تريدون أن تشيعوا فى العالم الفوضى والاضطراب وتحاولوا الوصول إلى الجاه والسلطان من طريق الطعن فى الحق وأصحابه والجور فى القصد ، لا عن طريق هداية العالم إلى الخير والسلام كما فعل محمد ، ولكن ما أبعد الفرق بينه وبينكم فإن الرسالة التى جاء بها محمد ما زالت السراج الوهاج والطريق السوى لمن أراد أن يصل إلى نعيم الحياة ويفوز بجنات عرضها السموات والأرض ، وما زالت قبلة الأنظار مدة اثنى عشر قرناً لأكثر من مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا وجعل لهم عقولا كما جعل لنا ، وفيهم من بلغ أسمى درجات الرقى الفكرى الذى تدعون أنكم وصلتم إليه ، فلا تستخفون من قولكم ، إن هذه الرسالة التى آمن بها ومات عليها كل هؤلاء الملايين الفائقة الحصر ، خدعة وكذب . فوا أسفاه ما أحقر هذا الزعم الباطل وأسوأ هذا القول السخيف ، وما أضعف عقول أهله وأحقهم بالرثاء والمرحمة ، لأنهم ظنوا أن جميع الناس مجانين مثلهم . أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبداً ولا أسكت عن قائليه ، ولو أنى أرى أن الغش والكذب ينتشران بشكل مريع بين الناس ويروجان رواجاً كبيراً ويصادفان كثيراً من التصديق والقبول

إن الحق إذا لم يجد له نصيرا يدفع عنه سخف القول ويذود عن حوضه المفتريات اضاع بين أمثال هؤلاء الذين لا يرعون فيه إلا ولا ذمة . ولو أن الحق عدم أنصاره لأصبحت الحياة سخفا وعبثا ، وكان الأولى بها ألا تخلق . وأى حق أحق منا بالذود والدفاع عنه من دعوة محمد التى تدعو إلى السلام والمحبة . وهما اللذان جاء بهما جميع الأنبياء لأنهما ظل الله فى الأرض وما الله إلا محبة وسلام

* * *

إن من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات ، يجب عليه ألا ينظر إلى شئ مما يقوله أولئك السفهاء ، وألا يصدق كلمة واحدة من أقوالهم ، لأنها أفكار سقيمة وأقوال جيل كفر بالله .. ونتاج عصر جحد بالإنسانية وقيمتها ، وهى أبلغ دليل على خبث قلوب هؤلاء وموت أرواحهم وفساد ضمائرهم . وإذا فسدت الضمائر وخبثت القلوب وماتت الأرواح فى الأبدان ، فإن اصحابها أن يفعل ما يشاء لأنه أصبح كالأنعام بل أضل

وامل العالم لم ير قط رأيا الأم من هذا الرأى ولم يسمع قولا أكفر من هذا القول ، فهل يعقل أن رجلا كاذبا خداعا يستطيع أن ينشر دينا بين الناس وأن يوجد العجب من القوانين والأحكام التى كانت مدار الأحكام والتى أصبحت محور القوانين جميعا رغم كل ما يقال . والله إن الرجل الكاذب لا يستطيع إن يقيم بيتا من الطوب ، لأنه يدعى أنه عليم بخصائص الجير

والجص ومواد البناء وهو لا يعرف منها شيئا . فإن الذى يبنيه إنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد ، لا يستطيع أن يثبت اثنتى عشرة ساعة إذا هبت عليه ريح عاصف ، لا أن يقف كالطود الشامخ أمام مختلف الأعاصير والأنواء اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، لا يمر عليهم وقت إلا وهم فى ازدياد مستمر ونمو مطرد . أفبعد هذا يقال إن محمدا كاذب خداع

وليعلم من لم يكن يعلم أن على المرء أن يسير فى جميع أموره طبق قوانين الطبيعة لا يخالفها ، وإلا استعصى عليه الأمر وأبت هى أن تجيب طلبته وتعطيه ما يشاء ويبتغى

كذب وافتراء والله ما يذيعه أولئك الكفار ، ولا بد أنهم سيعودون فى النهاية مهزومين وإن زخرفوا أقوالهم حتى تخيلها بعض الناس حقا

باطل وزور والله ما يدعون إليه وإن زينوه حتى أوهموا السذج أنه صدق . وعمنة والله ومصاب ما بعده مصاب أن ينخدع الناس بهذه الأباطيل ، ويجد الكذب له بين الأمم والشعوب آذانا صافية

ولكن مهما كان الأمر فإن الناس سيأتى عليهم اليوم الذى يدركون فيه كذب هؤلاء ؛ إنه كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية المزيفة ، يبذل لها صاحبها غاية الجهد ، ليتخلص منها ويخرجها من كفه القذرة الأثيمة ، ليقع فى ضررها غيره ويحيق مصابها بسواه ، ولكن لا يلبث زيفها أن يظهر للناس ، فيلقون بها فى سلات المهملات وهم يصيحون بملء أفواههم « هذه أوراق مزيفة »

* * *

إننا لو قارنا بين دعوة محمد وصدقه فيما أتى به ، وبين دعوة زعماء الثورة الفرنسوية — لا على سبيل المساواة فى القيمة الروحية ولكن على سبيل المثل فقط ؛ إذ من الظلم البين أن تقرن الثانية بالأولى — وما حاول أولئك الزعماء نشره ، لوجدنا أن الأولى قد جاءت من قبل مجىء الثورة الفرنسوية بمدة قرون وبقيت بعدها وستظل ثابتة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

أما الثانية فقد ذهبت بذهاب دعاتها ، بل إنهم هم أنفسهم لم يأخذوا بها ولم يسيروا على ما كانوا يدعون إليه ، وهذا أكبر شاهد على أن محمدا لم يكن أخا شهوة كما يتهمه أولئك الضالون ، ظلما وعدوانا

والله اشد ما نتعدى حدود الجور والخطأ ، إذا اتهمنا محمدا بأنه رجل شهوانى لا هم له إلا إشباع نفسه من الملاذ وقضاء مآربه من الشهوات . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ والشهوات ، بل لقد كان زاهدا فى حياته كلها متقشفا فى مأكله وملبسه ومسكنه ، وجميع أحواله ، فقد كان طعامه عادة لا يزيد على الخبز والماء ، وكثيرا ما كانت الشهور تمضى ولا يوقد بداره نارا تحت قدر ، وإنهم ليذكرون ... ونعم ما يذكرون — أنه كان يقوم بأعماله بنفسه ، يرقع ثوبه ويخصف نعليه بيديه ، فهل بعد هذا تواضع ومفخرة ؟ وهل هذه هى صفات الرجل الذى يسعى إلى الجاه والسلطان والملك والصولجان !

هذا محمدا من رجل خشن الطعام مرقع الثياب مجتهد فى الله ساهر ليله يذكر ربه وينصت لوحيه جاهدا فى نشر دينه ، لا يطلب رتبة ولا يطمع فى دولة أو سلطان أو غير ذلك مما يتطلع إليه أصاغر الرجال

والله لو لم يكن محمد صادقا فى دعوته مخلصا فى تأدية رسالته لما لاق من أولئك العرب الغلاظ الأكباد توقيرا ولا احتراما ولا تعظيما ولا إكبارا ، وما كان مستطيعا معاشرتهم أكثر أوقاته بعد أن قام بدعوته ثلاثا وعشرين حجة . وما كان فى مقدوره أن يقودهم إلى ميادين القتال لا يهابون الموت ، يلتفون حوله ويقاتلون بين يديه ويجاهدون فى سبيل دعوته ، يلقون مصارعهم آمنين مطمئنين إلى المصير الذى وعدهم الله إياه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

لقد كان فى هؤلاء العرب غلظة وجفاء وكبر ومجرفة ، وكانوا حماة الأنوف أباة الضيم صعاب الشكيمة وعر المقادة ليسوا

النهر الملول* !...

عن أندريه موروا

للأستاذ أنور العطار

« يرى «موروا» حياة الإنسان نهرا ملولا ، ويرى الموت بحراً ، ولقد تضجره الحياة والأحياء ، وتنشه الأماني والآمال فيهيب بنهر حياته الملول أن انسكب في خضم الردى وغب في بحر الفناء »

قد نجونا من الحياة ومن سحرها العجب
ومن المأمل الشهي ومن كأس الرهب
خالق الموت والحياة ويا خير من وهب
لك شكراننا العميم على الدهر قد وجب
ولك الحمد أن قضيـ ت من العيشة السبب
أنت أوردتنا الردى والردى السؤل والطلب
فسلمنا من الأذى واسترحنا من النصب

(*) من ديوان « وادي الأحلام » المائل للطبع

يالمنساقين وراء كل ناعب ، فمن استطاع تذليل جانبهم وقدر على رياضتهم ، حتى رضخوا له وساروا وراءه مسلمين له القياد ، فلولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل والصدق والإخلاص ، لما خضعوا له ولا أذعنوا لأمره. وإني أعتقد أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد ، قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه ، لما لقي من طاعتهم واحترامهم بعض ما لقيه محمد في ثوبه المرقع بيده . وهذا أكبر دليل على عظم محمد وصدقه في دعوته وإخلاصه لربه

عبد الوهيود عبد الحافظ

لو ملكنا مرا البقاء لما شاقنا أرب
ولأودى بنا الحنين إلى الهلك والعطب
كل من ذاته استراح من الهم والتعب
ماله الدهر رجعة أو معاد ومنقلب
فلقد تسأم الحياة وقد يجتوى الرغب

...

رب نهر معذب مل من طول ما سرب
وتناهى به المطاف إلى البحر فاحتجب

أنور العطار

عن الشعر الفلمنكي

من وحي الكأس

للأستاذ محمود غنيم

على بك شخصية لا تكاد تفارق الكأس شفتيه ، كان موظفا كبيرا ثم أحيل إلى التقاعد من سنوات ، وقد أقام له الشيخ المحترم سعد بك الليان بمعد الدعاية حفلة تكريم ألقى فيها الشاعر هذه القصيدة

صافوا لك الشعر من زهر ونوار وصفته لك من حانوت خمار
ما « الروم » إن قلت شعرا يا على وما
زيبيب « زوتس » أو « كونياك أو تار »
حمام كؤوسك واشرب يا أبا حسن سلافة عصرت من كرم أشعاري
لله درك شيخا ليس يشبهه نهر من الخمر في أحشائه جار
حمراء سحنته بيضاء لحيته لكن صفحته سوداء كالقار
إن الشيوخ تقوم الليل في حرم لكن على يقوم الليل في «بار»

...

يمشي على فلا يدري إلى جبل تقوده قدماه أم إلى القار ؟
يضل عن بيته والشمس طالعة وليس يبعد عنه غير أشبار
وربما دق باب الجار من خبل وربما ضربته زوجة الجار
يعد «بي» عليه الكأس أربعة أو خمسة وهو لا واع ولا دار
ويحسب القار إذ يبدو له جبلا يعدو عليه فيجري خشية القار

ويطلب اللحم من دكان فاكهة ... ويشترى الموز من حانوت جزار
وربما خدعته العين فى رجل ... يمشى فقال : مساء الفل ياسارى
وربما قابل « المترر » فقبله ... فى وجنتيه وحياه « بسيجار »
وربما أطلق السكين « قنبلة » ... وراح يحسبها رنات أوتار

• • •

على عذرا إذا أسرفت فى هذرى ... فأنت ذو منزل عندى ومقدار
حييت يا صاح فيك النبل أجمعه ... حييت فيك لسانا غير معثار
حييت فيك حديثا خف مسمعه ... وكم حديث يحاكى رجع أحجار
ظل خفيف وأخلاق معطرة ... لو نسمت أصبحت باقات أزهار
يكفيك نجلان يزدان الحمى بهما ... كلاهما لامع كالكوكب السارى
وندوة الشيخ « سعد » أنت بهجتها ... لله درك بدرا بين أقمار

• • •

لاعيب فيك سوى كأس تضاجعها ... فى النوم تفنيك عن زوج وأصهار
وكل ما أنجبت مصر وما ولدت ... « باريس » من خرد عون وأبكار
الدهر أفسد شيئا أنت تعرفه ... ما عاد ينفعه إصلاح عطار
بالأقدمية عش فى البيت منزويا ... وأخف نفسك فيه خلف أستار
لا تغضبن على قول ولا عدس ... ولو أتوك بسم ناقع هار
عش يا على مليا وانقض عمرك فى ... كاس وكاس وفى لهو وأسمار
وخل من شاء يبكى الحظ منتحبا ... ويقطع العمر فى هم وأفكار
انزع كؤوسك واشرب كيف شئت وقل
يا نفس لا تقنطى من رحمة البارى
ما العار إلا الأذى بالناس تلحقه ... ما فى المدام ولا فى الكاس من عار
قد يغفر الله للسكير من كرم ... ويخلد الراهب الذكير فى النار

• • •

على هذا قريض كنت تطلبه ... فأد فى كل بيت ألف دينار
الشعر غال ولكنى أجود به ... عليك . إنك مثلى جائع عار

محمود غنيم

أخـــى

للاستاذ محمود البكرى محمد

أخى ا .. قد غالنى الجوع ، وهد الفقر بنيانى
ودب الضعف فى جسدى ، وهز الشر إيمانى
وطال الليل ، وامتدت على الأيام أحزانى
فكفكف دمعى الهامى ، وأطفئ نار حرمانى

• • •

أخى ا .. قد أقبل الليل .. وشاع الصمت فى الوادى
وفى عشى قد ارتعشت بنيانى .. وأولادى
يهيج أنينهم قلبى .. ، ويذكى نار أحقادى
وما فى العش من دفء ، وما فى العش من زاد

• • •

أخى ا قد عربد الشر ، وما جت بالأمى نفسى
ونام الخير ، وانبعثت دواعى الثأر فى رأسى
وجن البؤس فانتفضت بكفى بغتة فأسى
أرونى الظالم الباغى لياقى المر من بأسى

• • •

أخى احفر لى — على عجل — بفأسى هذه قبرى
واحدنى ا .. فما بقيت سوى الأرهام من عمرى
سئمت مآسى الدنيا ، وضقت بقسوة الدهر
سقانى الكأس حنظلة ، وقلبنى على الجمر ا ..

الكيان

محمود البكرى محمد

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى

لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . وهى كالام « فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب طبعت أربع مرات وثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

الأدب والفن في أسبوع

حملة انجليزية على الدكتور طه حسين باشا :

شن بعض المدرسين الإنجليز الذين فصلوا من المدارس المصرية حملة هوجاء في جريدة « الإجبشيان جازيت » ضد سعادة الدكتور طه حسين باشا ، تحت عنوان « الصنم الذي هوى » وهو عنوان يدل على مقدار « أدب المربين » الإنجليز :

وقد ادعى أولئك الكاتبون « المهذبون » أن وزير المعارف السابق عاملهم معاملة غير كريمة وغير عادلة لأنه فصلهم من وظائفهم .. ويظهر أنهم لم يجدوا في قضيتهم الأساسية ما يناقشون فيه على أساس المنطق المعقول ، فلجأوا إلى الهجوم الشخصي . ومن أعجب ما جاء في كتابتهم أن الدكتور طه حسين باشا سقطت مكانته بعد الخروج من الوزارة !!

وأنا أسأل هؤلاء الأساتذة الذين يفترض فيهم أنهم من المثقفين .. هل هم يعيشون في مصر أو في انجلترا ؟ إذا كانوا قد عاشوا في مصر بعقولهم كما عاشوا فيها بأجسامهم فكيف يخفى عنهم أن طه حسين رجل له مكانته في هذه البلاد باعتباره أستاذ النهضة الفكرية المعاصرة ، وباعتباره كاتبا أجمع الوطنيون على سبقه من الناحيتين الفنية والإصلاحية ؟ فالوزارة لم تضف إليه شيئا من مجد أو مال حتى يهوى بالخروج منها ، ومثل طه حسين هو هو في الوزارة أو في خارجها

وإذا كانوا يعيشون في انجلترا فهل جاءتهم أنباء الحفاوة التي قوبل به الدكتور طه حسين باشا من نحو عامين في الجامعات الإنجليزية حيث أشار الأساتذة هناك بعبقريته وآثاره في ميادين الفكر والثقافة والتعليم ، ومنحته الجامعات « دكتوراه » فخرية ؟

ففي أي مكان هوى ذلك النجم ؟ أفي مصر أم في انجلترا أم في عقول أولئك المدرسين الخاوية ..؟

وقد تصدى للرد على تلك المقالات الأستاذ إسماعيل كامل في نفس الصحيفة « الإجبشيان جازيت » وفند أقوالهم تفنيدا لقى ارتياح العقلاء من قراء هذه الجريدة

ثم كتب العميد نفسه مقالا في الصحيفة ذاتها رد به على تلك الغارة الشعواء ، قال فيه : أود قبل كل شئ أن أسأل لماذا انتظر هؤلاء هذه المدة الطويلة ليشكوا مما حدث منذ أكثر من شهرين بل في التاسع من ديسمبر بالذات ؟ ولماذا آثروا الصمت حينما كنت عضوا في الحكومة المصرية ؟ إنه ليسرني عني أن أتبين أن الشجاعة كانت تنقصهم ، مع أنه لم تكن هناك أية رقابة إذ ذاك

ثم قال سعادته : على أن مسئولية فصل أولئك المدرسين لا تقع على وزير المعارف ، أو على مجلس الوزراء المصري ، ولكنها تقع على العسكريين البريطانيين في منطقة القنال ، الذين سلكوا سلوكا لا يمكن قبوله في القرن العشرين

وأوضح في المقال ما صنعه معهم إذ أراد أن يحميهم من الهجوم الذي قد يتعرضون له في المدارس وفي الجامعات ، فطلب إليهم أن يبقوا في منازلهم ليدفع عنهم غضب أبناء الشعب من طلبة المدارس والجامعات

وقال سعادة العميد : وإذا ما رغب هؤلاء الأساتذة في الشكوى فإني أنصح لهم ، عندما يعودون إلى انجلترا ، أن يرسلوا احتجاجاتهم إلى مستر تشرشل مثلا أو إلى أي شخص آخر مسئول عما حدث ، لا لهم فحسب ، ولكن وقبل كل شئ عما حدث للشعب المصري كله منذ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وذلك مادام إحساسهم بالعدالة مظلما إلى هذا الحد !

وقد قرر مجلس الدولة أنه ليس لهؤلاء المدرسين حق في الحصول على أي تعويض ، ولكن الحكومة قررت — بناء على طلب وزارة المعارف — منحهم مرتب ثلاثة شهور ونفقات سفرهم

فأية عدالة يطلبونها بعد ذلك ؟ وأيهما يعد أكرم : موقف الوزير منهم ، أو موقفهم منه وهم يتطاولون ويتقولون عليه بعد خروجه من الوزارة .. ؟

حقيقة المسألة — على ما هو طبيعي — أن الدكتور طه حسين باشا كان مصريا فغضب الإنجليز ...

فى دار الإذاعة:

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا للخادم يحتاج إلى أن ينبه فى كل أمر ولا يستخلص مما يؤمر به خطة يلزمها ونهجا يسير عليه. قال بيدبا: مثل ذلك — أيها الملك السعيد — الإذاعة المصرية. شكا الناس منذ سنوات من أغنية « حمودة يانى » إذ استنكرها ذوو الحياء والغيرة وألحوا فى استنكارها، فلم يسع الإذاعة إلا منعها. وشكوا من أمثال لها وحلوا عليها فرضخت وامتنعت عن المنكر. وكان حريا بها أن تدرك أن المسألة مسألة خطة يجب أن تكون مرسومة، وأن ما استنكر ليس إلا مثلا يجب القياس عليه.. ولكن ظهر أنها تحتاج فى كل مرة إلى استنكار جديد من مخدومها الشعب.. فقد لاحظ هذا السيد (الشعب) أن خادمه (الإذاعة) تذيع فى هذه الآونة التى تتطلب العمل الجد مثل أغنية « الدنيا سجارة وكاس » وأن هذا لا يتفق مع التبعات الجسام التى يمد لها جيل الشباب، فهناك أشياء أهم من السجارة والكاس.. ومثل الأغنية التى يقول فيها المغنى « تعالى بين أحضانى » — لاحظ السيد ذلك من خادمه العجيب الذى كان يجب أن يدرك من تلقاء نفسه أن ذلك لا يليق، فغضب عليه و« شخط فيه » فاضطر إلى أن يقول « حاضر يا سيدى! »

قال دبشليم الملك: حسن ما جئت به من مثل! ولكن كيف تستعمل الدولة المصرية هذا الخادم الساذج فى عصر التقدم الذى يوجد به خدم مدربون أذكياء؟

قال الفيلسوف: أيها الملك السعيد، ليست المسألة بهذه المثابة، ولكن « إذا حسنت أخلاق المخدوم ساءت أخلاق الخادم »

قال دبشليم الملك: زدنى إيضاحا.

قال بيدبا الفيلسوف: إن من فى الإذاعة قد لا ينقصهم الذكاء وربما كان لبعضهم دربة. ولكنهم « محاسيب » لذوى النفوذ، جىء بهم ليغدق عليهم ثم لا بد من الإغضاء عنهم..

قال دبشليم الملك: وما رأيك فى قولة رئيس الوزارة الجديد أحمد نجيب الهلالى باشا: « ان نوادع الفساد »

قال الفيلسوف: إنا لمنتظرون..

كشكول الأسبوع

□ أجرى بمجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى الانتخاب لشغل الكراسى الثلاثة الخالية به، فأسفرت النتيجة عن انتخاب واصف غالى باشا والدكتور محمد كامل حسين بك مدير جامعة إبراهيم، أما الكرسى الثالث فاكتنفه التوفيقان: توفيق الحكيم وتوفيق دياب. إذ لم يبلغ أحدهما نصاب التوفيق.. فأجل الانتخاب لهذا الكرسى الى جلسة تحدد فيما بعد

□ لوحظ أن الكتاب الذى رفعه إلى جلالة الملك أحمد نجيب الهلالى باشا بالإجابة إلى تأليف الوزارة — مكتوب بأسلوب أدبى يذكر برسائل البلغاء من الوزراء الكتاب الأول، ولا غرابة فى ذلك فالهلالى باشا كاتب أديب ممتاز

□ وفى الوزارة الهلالية الجديدة كذلك أديب متمكن يقرض الشعر أحيانا وان لم يعرفه الجمهور بذلك، وهو معالى الأستاذ محمد مفتى الجزائرلى باشا وزير الأوقاف

□ عقدت لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية أول جلسة لها فى هذا العام يوم الأربعاء الماضى. ومما يذكر أن معالى عبد الخالق حسونة باشا وزير المعارف السابق كان قد أصدر قرارا باستمرار تأليف اللجنة كما هى، وكان الدكتور طه حسين باشا أول من استن هذه السنة وأقر هذا الوضع، فاللجنة مستمرة بهيئتها منذ ألفها السنهورى باشا إبان توليته الوزارة، وهى برياسة الأستاذ على عبد الرازق باشا

□ كان السجل الثقافى الذى تصدره الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف، مما ترجع إليه لجنة جوائز فؤاد الأول لتتبع ما صدر من المؤلفات. ولكن سجل سنة ١٩٥٠ لم يصدر إلى الآن ولقد مضى على موعده سنتان!

من القارئ على الكاتب :

تلقيت الرسالة الآتية من الأديب عبد اللطيف الطالب بمعهد القاهرة الثانوي ، وقد حرص على أن يبعث بها إلي — كما قال في هامشها — ليجنبها على أستاذنا الكبير الزيات بك. وقد رأيت أن أنشرها في هذا الباب لأني أشاركه صاحبها ما تضمنته من رأي ورجاء، وأعلم أن «شعب الرسالة» يرى ذلك ويرجوه ، ونحن الآن في عصر الشعوب واحترام إراداتها ، وهذا هو نص الرسالة :

« أما بعد التحية : فللأستاذ الزيات في قلوب القارئين مكانة تجل عن الوصف وتنبو عن مواطن الشبهات، وذلك لما اتصف به من العمق المتين في البحث ، والإحاطة الشاملة في الدراسة، والأمانة الدقيقة في الترجمة والأخلاق العالية في التجميل والتزين، مما حدا بأساتذتنا أن يقولوا لنا في فصول الدراسة : اقرءوا الزيات من خلال كلماته فإن كلماته تشف عن الرفعة والنبل والجمال

وبيننا — معشر قراء الرسالة — وبين أستاذنا الزيات مشكلة نرجو لها حلا، أستغفر الله بل لنا رجاء — حتى أكون مؤدبا — نضعه بين يديه

إن الأستاذ الزيات يضن علينا بمقال كامل يشغل صحيفة وبعض الصحيفة في كل أسبوع يتوج به مجلتنا الحبيبة التي تتلقفها أيدينا في نهم كما تتلقف أفواه الجياع أرغفة الخبز

أفلا يتفضل ويضمرنا بهذا المقال كلما خرج إلى الوجود عدد جديد من الرسالة الغراء ؟!

وهذا رجاء يعتمل في نفس كل قارئ للرسالة ، وأعتقد أن هذا من حق القارئ على الكاتب الذي ينزله من قلبه منزلة رفيعة . وعلينا لأستاذنا الزيات أن نفهم ما يكتب وأن نقدر ما يقول ..

وقد عبرت عن بعض ذلك الآنسة العراقية صاحبة « رسالة الجسم الجميل وصورة الروح النبيل » لكنها غلب عليها حياء العذارى حين طلبت من أستاذنا الزيات أن يخصص عددا من الرسالة لتأبين المرحوم « علي محمود طه » يكتب هو أكثره ، ولم تطلب منه أن يضع لنا كتابا يتناول فيه بالتحليل والدراسة شخصية وشعر « شاعر الحب والجمال » الخالد

إن حق رجائنا أستاذنا فقد أضاف إلى فضائله الكثيرة فضلا وإن لم ... فسأضع هذا الأمر بين يدي قراء الرسالة على صورة استفتاء !

وحينئذ لا مفر من النزول على رغبة القراء وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

عباس خضر

□ من الكتب القيمة التي ظهرت أخيرا كتاب « الإنسان بين المادية والإسلام » للأستاذ محمد قطب ، وتدور موضوعاته حول النفس الانسانية من حيث نظرة الغرائز والمذاهب المختلفة إليها . والفكرة التي يرمي إليها المؤلف هي أن الاسلام يقف في طريق وسط بين المسيحية التي تفرض الكبت على الطاقة الحيوية للانسان وبين « فرويد » الذي يطلق النفس من عقالها ويعتبر الانسان حيوانا أرضيا . والأستاذ محمد قطب كاتب شاب ولكنه يبدو بهذا الكتاب في نضج الشيوخ من حيث اتزان الفكر وعمقه ، إلى ما فيه من سلامة المنطق وجمال العرض وصحة الاستنتاج

□ ومن أحسن ما صدر أيضا في هذا الشهر كتاب « نديم الخلفاء » للأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، وهو آخر حلقة في سلسلة « اقرأ » يعرض فيه حياة الشاعر الخليع الحسين بن الضحاك ، وقد تعمد أن يكثر من إيراد شعره وأخباره لاستكمال تصوير الشاعر وتصوير بيئته ، وقد وفى ذلك حقه مما يدل على شمول إلمامه بمراجع الموضوع . وأبرز مايلاحظ في الكتاب غير ذلك أن المؤلف تحدث عن العبث والمجون والخريات في تلك البيئة بأسلوب لبق ناصع جذاب

□ تقرر نقل الأساتذة هارون الحلو وسليمان النمل وعبد الغني سعيد من إدارة الإذاعة إلى وزارة التموين .. وقد كانوا يشرفون على الشؤون الثقافية بالاذاعة ، وهم من أساتذة الفن والأدب ، ولذا لا يدري أحد ماذا سيصنعون بوزارة التموين .. ويقترح أحد الظرفاء أن يشتغل الأستاذ « الحلو » بتوزيع بطاقات « السكر » !

□ وافقت الحكومة المصرية على ما اقترحته « اليونسكو » من إلغاء الرسوم الجمركية المقررة على المواد اللازمة لشؤون التربية والتعليم والثقافة ، وتشمل هذه المواد الكتب والصحف والدوريات والأفلام الدراسية والأعمال الفنية وغيرها

رياح وشموع

شعر : كمال نشأت

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذه مجموعة رقيقة من شعر الشباب ، ضمت أصدق الأحاسيس ، التي اهتزت لها مشاعر الأستاذ الشاعر كمال نشأت ، وقد ملك الربيع عليه سمعه وبصره ، فنفذا عن صخب الناس ، ومضى إلى الطبيعة يستجليها ، فوافاه الإلهام وساعفه النغم

ولا عجب ، فهو من شباب الإسكندرية ، أمتى وأضحى بين عينيها ، فاتنين بالأنسام ، واحتفل بالأمواج ، واختلى بالأسحار والأصائل ، فتصيد قيثارته الشادية أوتار الربيع ، فامتزج النغم الناعم بالموج العتى ، وخفقت « الشموع » في رعونة « الرياح » العواصف ؛ والربيع في حناياه دوى لا يبلى مع الخريف الحائل ، والهجران الموحش

يستهل الشاعر مجموعة « رياح وشموع » بالقطعة الجميلة التي عنوانها « ربيعي » ، وهنا نضع بين يدي القارئ مفتاح الشاعرية الذي يهدي إلى أسرار نفسه : فليس الربيع خضرة وزهرة . أو جدولا وبليلا .. أو بعضاً من تلك المفاتن التي تجتمع عليها الحواس المشتركة لناس هذه الدنيا ، ولكن الربيع عند الشاعر معان مجردة له أن يمنحها ما يشاء من الأصباغ ، وله أن ينضمها بحيث ينفرد هو بتوقيعها على قيثارته في محاريب الفن

لهذا ، كان ربيع شاعرنا معنى جديداً له معالمه ومعارفه ، فالحياة في تقلباتها « ربيع خالد لا ينتهي » بحيث لا يعفو مع الخريف ، ولا يمسو مع الظلام ، فليتأمل القارئ هذين البيتين وبينهما سبعة أبيات رقاق :

وبمهجتي أجد الربيع مجدداً ... أبداً نضيراً في الشعور الناضر

أنا في الخريف أرى ربيعاً غافيا ... وأكاد ألمسه صنيعة ساحر

ويسبح بمدده في الآفاق المساح ، دافعاً بجناحه الذهبي هذا السحاب ، متنقلا على بساط سليمان من الروض إلى الميناء إلى عطفة الرمل إلى الترام إلى تريانون إلى العيون النواعس إلى الشاطىء ، والربيع من حوله : هالة مشعة أو بسمة دافقة ، يقول :

هو في دمي خلد وبين أضالعي ... فجر أوائله بها كأواخر

في كل خافق يجد الربيع منوعا ... في كل امرأى يستبين لناظري

في كل خافق يجد الربيع بكل ما ... يلقاه من ماض لدي وحاضر

في البحر ، في القفر الجديب ، وفي الفلى

بين الجوانح ، في ظلام مغاور

في بسمة الطفل الصغير تكشفت

عن طهره في روعة المتباشر

في غفوة العصفور في ألق الضحى

في ضجة الموج العتي الهادر .

وإذا عاد ربيع الناس ، ترنم شاعرنا بهذا النشيد العذب « نداء الربيع » فيقول :

عاد الربيع ومهجتي فيها ربيع ناضر

شعر ، وأحلام ، وأنغام ، وشوق زاخر

عاد الربيع فمدت أسمع بين أحنائي خطاه

همس يدب مجدداً في القلب أفراح الحياه

ولئن تملك الربيع شاعرنا اللهم ، فلا أقل من أن يمتزج بتهاويله فتراه — وهو على ضفاف « بحيرة البجع » — يتمنى أن يكون عطراً أو ريشة أو ظلاما أو صباحاً أو سكونا أو ظلاما ، ولكنه قلب أسير في يد الحقيقة ، فيناجي البجعات السابحات الفاتنات :

آه لو كنت في رحابك عطراً ... في زهور على غصون وريقه

آه لو كنت ريشة في جناح ... لطيور منعمات رشيقه

آه لو كنت في مياهك ظلا ... غائصاً يرتقي الزهور المريقه

كم تمنيت أن أكون صباحاً ... ناعساً حالماً وفيياً شروقه

كم تمنيت أن أكون سكونا ... في كهوف بين الجبال سحيقه

كم تمنيت أن أكون ظلاما ... ناشراً ستره محبا سموقه

كم تمنيت أن أكون ، وما كنت سوى مهجة بأمر الحقيقة

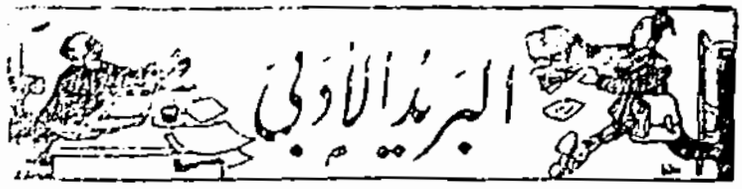

تحية الى مؤلف « محاضرات الثلاثاء » :

أرسل حضرة صاحب العزة الأستاذ محمود تيمور بك إلى الأستاذ أحمد الشرباصي الخطاب التالي ، بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٥٢ م .

« عزيزي الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي

أبعث لفضيلتكم بأسمى التحية شاكرا لكم هديتكم الطريفة (محاضرات الثلاثاء) وإني إذ أكتب لكم عن رأيي في هذا الكتاب . فإنما أكتبه عن يقين وإخلاص ...

ولا أكتمكم سروري الكبير الذي شملني على إثر مطالعتي لهذا السفر الطريف ، الذي دل على روحكم العالية ، ونزعتكم في الإصلاح ، متخذين الدين كأساس لهذا الغرض ، في مرونة تساير روح المجتمع ، دون خروج على مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة الغراء

كل ذلك يجري في معالجة طريفة أخاذة ، وعرض رفيع رائع ، وأسلوب سام رصين . فأهنئ فضيلتكم تهنئة صادقة ، وأؤمل أن تواصلوا هذا النشاط الاجتماعي الديني المشكور في حدوده المعروفة ، فيستهدى بها ويستضيء

وتحياتي الخالصة إليكم مشفوعة بتقديري واحترامي »

المخلص

محمود تيمور

مدافعة الأدب في وزارة المعارف :

ما أضيع الأدب في وزارة المعارف ، وما أسرع النسيان إلينا حين يمضي النهار بالأدباء الراحلين ممن خدموا الثقافة القومية ، ودعموا أركانها . أقول هذا حين أذكر تلك النهضة التأليفية التي بزغت عندنا سنة ١٩٣٨ ، فنظمت الوزارة مسابقات أدبية رفيعة أكرمت فيها الفائزين ماليا ، ووعدت بطبع مؤلفاتهم التي فازوا بها : ولكن مضت الأيام والسنون ، وتقلبت العهود ، وما تزال هذه الكتب كالأطياف الباهتة في بقايا ذاكرة وفية

حقا ، لقد مضى أصحابها إلى دار البقاء ، وخجل أهلوهم من الانتصاف للأموات من الأحياء ، وقد طوتهم الأيام بأرزائها ، ولكنا نتساءل : إلى متى تسير الوزارة ، وزارة العلم والأدب ،

وتراه يزف « نسمة الفجر » إلى دنيا الناس فيقول :

هبي على القفر الجديب ، على السهول ، على البحور
روحاً تعانق كل ما تلقاه ، طـــاهرة الضمير
وتوحد الكون الكبير ، بحبها الحر الكبير
وتثير في القلب المعذب فرحة الطفل الغرير
دوري بأحلام الربيع ، وعطره بالأفق دوري
وتفاءلي فرحاً ، وأحلاما على الروض الشجير

إنه لا شك شاعر هيمان ، له قلب أخذ يرق ويرق حتى صار فلذة من الطبيعة الحافلة بالجمال . فهو يقول :

فوق هـــذي الظلال سرنا ظلالا
ضاحـــكات على الطريق الوديع

ويبدو هـــذا المزاج الشاعري في نتاجه الموزعة بين « الليل الربيعي » و « البرعم الشفق » و « همسة الصبح الخجول » ولا يعبأ بعد ذلك بالعواصف الهوج و « الضياء المغرور » والشموع الخوافق ؛ فالأمل يحـــدو له بنشيد « الصباح العطوف »

إن قسا الليل ظالما ورياحاً فالصباح العطوف في أحنائي
والسكون العميق بين ذراعينا ودفء الدماء في الأعضـــاء

أطفئي خافق الشموع ، وخلينا ظلاماً إلى مجيء الضياء

هذه بعض الرؤى الباسمة ، والظلال الخفاف ، التي تسابقت إلى خيال الشاعر كما نشأت ، فاهتزت لهـــا ريشته الصناع ، ما كدت أفرغ من ترتيبها حتى رأيتني صادق الرغبة في إشراك قراء الرسالة معي في الإعجاب بها ، والتقدير له ، فله مني أخلص التهنئة على براعته في التقاط الهمسات والبسمات والنسمات التي صاغها مع الربيع في « رياح وشموع »

محمد محمود زيتون

على ظهر سلحفاة ، كلما اتصل الموضوع بالشؤون العلمية والأدبية ؟ ولماذا يجازى المرحوم فخرى أبو السعود بوأد كتابيه القيمين عن « الخلافة » «والبارودى» ؟ وما جريرة الأدب المعاصر إذا حرم من ثمرة رجاله السابقين ؟

فلتحمل الرسالة الغراء هذه الصرخة إلى وزارة المعارف ، لعلها تعمل على إحياء ذكرى النابغين الراحلين ، وتفى بما وعدت من طبع تراثهم الممتاز ، فهذا حقهم الشرعى عليها ، تؤاخذ على التفريط فيه أمام محكمة التاريخ ، وتنال الحمد والثناء على أدائه ، وذلك لا سواه هو التقدير الباقى ، والتخليد الكريم لأهل الأدب أحياء وأمواتا ، أما إذا تذرعت بمعاذير رسمية ، فلن يعفيها من التبعة الأدبية عيون يواقظ ، ولا أقل من تسليم هذه الكتب إلى إحدى دور النشر لإذاعتها والانتفاع بها ، وهذا هو العمل الإيجابى الحاسم الذى نطالب به وزارة المعارف اليوم بعد الذى مضى ، وإلا فإنه يحق لأهل الثقافة أن يتقدموا باستجواب محرج بشأن هذه الكتب التى لا ندرى إن كانت موجودة فنبعثها أو موءودة فنعتبها

ونرجو مخلصين ألا يكون قد أهيل عليها تراب النسيان فى زحمة الأحداث فذهبت مع الريح ، ورحم الله فخرى أبو السعود : نعوا إليه فى حياته فلذتين من كبده ، حين ابتلع البحر المحيط ولديه الصغيرين وهما فى الباخرة الهاوية بأطفال الإنجليز إلى أمريكا ، فمن ينعى إليه فى مماته فلذتين من عقله ، وقد شيع الجحود والإهمال كتابيه الكريمين إلى مدافن الأدب فى وزارة المعارف .. عظم الله أجركم أيها الأدباء

محمد محمود زيتونه

مرتعظات أسبوعية :

١ — قرأت رباعيات الخيام مترجمة إلى العربية بقلم الشاعر : محمد السباعى . والمقطع الأول منها هو :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وانجلى عن حال فضية نالها من ظلم الليل دنس

وأترك لكل قارئ التعليق على الشاعر السباعى

٢ — وقرأت ص ٩٥ من العدد الثالث من مجلة « المسلمون » قصيدة بعنوان « الفدائيون » مهداة إلى أرواح الشهداء الخالدين مطلعها . والقصيدة للأستاذ محمود حسن إسماعيل

نفخ الصور فانتبه من سباتك أيها الشعب تلك أولى حياتك

ووقفت عند البيت ٣٤

كل هذا وأنت فى دورة الأيا م مستفشيا فى ســـباتك

القصيدة من بحر الخفيف . واستوقفنى البيت لكسر فيه حيث إن التفعيلة الثانية من العجز ناقصة وتدا مجموعا . ولست أدرى لمن أعزو السبب فى غيبة هذا الوتد ألقلم الشاعر ، أم لجهاز المطبعة ؟

وإلى اللقاء معشر القراء والسلام

محمد محمد أحمد الشاعى

ميراث الإخوة لأم

قرأت فى العدد ٩٧٠ من الرسالة الغراء فى البريد الأدبى تعليقا للأستاذ على إبراهيم القنديلى على فتوى صاحب الفضيلة المفتى السابق بخصوص ميراث الإخوة لأم

وقد كتب الأستاذ المعلق أن الإخوة لأم لا يرثون لوجود الفرع الوارث .. وقد استشهد على ذلك بما جاء فى كتاب الفرائض من الجزء الخامس لابن عابدين وكذلك بما ورد فى شرح الشريف على السراجية صفحة ٩٤ إلى صفحة ٩٧

وأنا أضيف إلى هذين الدليلين دليلين آخرين :—

الأول :— هو قوله تعالى بخصوص ميراث أولاد الأم

وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » والكلالة من لم يخلف والدا وولدا ، فمعنى يورث كلالة أى يورث من جهة القرابة الكليلة أى الضعيفة وهى قرابة غير الأصول والفروع

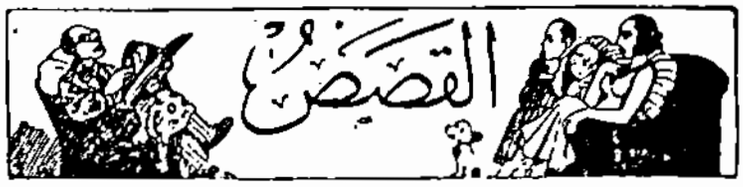

الابن

الكاتب الفرنسي بول بورجيه

إستيقظت مدام « ليجيه » في صبيحة هذا اليوم قلقة بادية الهموم والتفكير . فقد كان عليها أن تضع حدا لحياتها كأرملة في مقتبل العمر ، ولحياتها كأم ذات بنين ثلاثة . فلقد مضى على وفاة زوجها وهي إذ ذاك في الثالثة والثلاثين عامان كاملان . وكانت وفاته بعلة ذات الجنب التي خالسه وشيكا من دائرة عمله كمحام له شهرة مستفيضة ومحل من قلوب الناس . ومنذ ستة أسابيع سلفت قبل هـــذا الصباح الذي تستفيق فيه مدام « ليجيه » حائرة مفكرة ، اجترأ « جورج فوكوات » صديق بعلها المرحوم ومحام مثله أمضى معه سني الجامعة ثم لزم زوجها في دائرته لزوم الشريك وفي بيته لزوم الصاحب ، اجترأ هذا الزميل على أن يقول للأرملة الصبية منذ ستة أسابيع :

— إني لأحمل لك أيتها السيدة منذ طويل عاطفة لم أستطع استكناهها ولا فهم طبيعتها إلا منذ اليوم الذي غادرنا فيه صديق العزيز زوجك ، فأصبحت بوفاته حرة التصرف مالكة لزمام أمرك . وأظنك كنت تستشعرين مني هذا الصمت الناطق وتحسين احترامي الراحل الفقيد وتقدرين رعايتي لك . فبسببك يا سيدتي « ومعذرة من اعتراق بهذه الحقيقة » قطعت كل صلة تربطني بامرأة أخرى في هذه الحياة ، وأنت كامرأة في ريق شبابها وا كمال أنوثتها ، لك الحق بل يجب عليك أن تستأنفي حياة الزوجية السعيدة من جديد . وإذن فهل أستطيع أن آمل يا سيدتي أن تعتبريني الزوج المخلص الذي سيكون من أشهى أحلامه أن يضحي راحته وحياته لأجلك ... إني أحبك ... يا سيدتي ، ولعلها المرة الأولى التي أسمح فيها لنفسي بنطق هذه الكلمة الجريئة على مسمع منك ... أما أنت يا سيدتي فليس عندك إلا كلمة واحدة تقولينها لي في هـذه اللحظة ستكون هي

الثاني :— هو نص المادة ٢٦ من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ وهي تنص على ما يأتي :— يحجب أولاد الأم كل من الأب والجد الصحيح وإن علا ، والولد وولد الابن وإن نزل » والمقصود بالولد هنا الابن أو البنت على السواء

محمد كامل عزب

يصمد بمعنى يثبت صحيح

جاء في العدد الأخير من مجلة الرسالة الغراء تعقيب ينكر فيه كاتبه على الأستاذ الكبير سيد قطب استعماله يصمد بمعنى يثبت ، مستدلا على ذلك بما جاء في القاموس من أن الصمد بمعنى القصد والصمد بمعنى السيد وليس من معنى المادة الثبوت

ولو أن الكاتب الفاضل تدبر قليلا في هذه المادة لوجدها تدل أصالة على معنى الثبوت ثم تدل بعد ذلك على معنى القصد والسيد وغيرها تبعا ، يدل على ذلك ما جاء في القاموس نفسه من أن من معاني الصمد الدوام : والصماد الجلاد والصمدة الصخرة الراسية ، والصمد الشيء الصلب ماقيه خور ، وناقة مصماد باقية على الفر والجدب دائمة الرسل . ولا يخفى ما في هذا كله من معنى الثبوت والدوام ثم تفرع عن هذا المعنى الأصلي في المادة الصمد بمعنى القصد للثبوت عليه والصمد بمعنى السيد لكونه لا يحول عن المكارم

ولعل ما ذكرته هو الذي يتسق مع المنهج الحديث في دراسات علم اللغة العام . وأما تفسير الكشاف للفظة الصمد من قوله تعالى « الله الصمد » بالمقصود فليس بمستقيم ، والأحق أن يكون معناها الدائم الباقي لأن السورة قد جاءت لتثبت لله صفتي الوحدانية والبقاء ، ولا يخفى اتساق هذا المعنى الأخير مع قوله تعالى « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » والله أعلم

وللكاتب تحيات المخلص

عبد البصير عبد الله حسين

الأولى والأخيرة . ولكن بحقك لا تلفظها إلا بعد تأمل فى عاقبتها ، فإن ما أجن لك من هوى دفين لأمر من الأهمية والخطورة بحيث لا تكفيه كلمة أو جواب يقال على استعجال واقتضاب . قالت مدام « ليجيه » وصوتها راجف وطرفها خاشع :

— أتطلب منى استئنافاً لحياتى الزوجية معك ؟ ثم جمد لسانها عند هذه الكلمة فلم تأت « بلا » أو « بنعم » ؛ وأخيراً جسرت فقالت :

ولكن حياتى لا يمكن ترميمها ولا استئنافها . إنك تتكلم عن الحق والواجب وأنا لا أعرف إلا حقاً واحداً : هو السهر على أولادى ، ولا أفهم إلا واجباً فـــرداً : هو واجبى نحو أبنائى الثلاثة .. قال الصديق الخاطب :

— أو لا تشعرين أنى أحبهم هم أيضاً وأعزهم وأحنو عليهم كأبيهم صديق الراحل ... ؟ ! ومن لعمرى سيحل محل الأب الراحل إن لم يحله صديق أبيهم وصفيه ؟ وهل غيرى يعرف ميول صديقه وذوقه ومشربه فى التربية والسلك ؟ وإذن فهل تسمحين يا سيدتى أن أشغل مكان الأب الراحل ؟ أترضين أن تكونى امرأتى أمام الله والناس

قالت الأرملة فى حسرة وتلدد :

خلنى الآن لشأنى ... هلا جنبتنى الكلام فى هـذا الموضوع . ؟ ! إنه ليؤلمنى البحث فيه ويسبب لى كثيراً من الشجن والشجو

لا أعرف شيئاً . لا أفهم شيئاً . لست بمستطيعة أن ألمح فى قرارة نفسى المظلمة خاطفـة أستطيع منها إجابتك على سؤالك لأنى أجهل نفسى ... ولكنى أعدك أن جوابى سيكون بعد قليل من الزمن ... أما الآن فلا أستطيع ، أجل لا أستطيع .. فأجاب جورج فوكولت :

— سأنتظر كلمتك كما تشائين وأنى تشائين . إنك إلا تقولى « لا » هذه اللحظة فبحسبى ، لأن ذلك معناه أنك قد تتبصرين خلال سجوف المستقبل الكلمة الحبيبة إلى قلبى وهى « نعم » . إن التردد والتحير مؤلمان للقلب مزهقان للروح إذا لم يكن القلب المنتظر فى شرخ شبابه . قال ذلك وأبان لها عن طرف لثته وقد طرزتها سنوه الأربعون بأسلاك الشيب للبيضاء . فأحست الرأة الأرملة وهى تتأمل وخطات الشيب فى رأسه ، وتنظر إلى أثر التأنيب الصامت من عينيه السوداوين : أن موسيو جورج إنما يقيس سعادته فى هـذه الدنيا بمقياس ما بقى له من سنين فيها ، وكأن نظرته كانت تقول لها ، إن ما يطويه الشباب اللاهى من متع ومباهج لا ينشرها كفن المشيب مهما يمتد ويضف ثوبه . ثم يستأنف حديثه ويقول :

— إنه إحسان منك على أى حال أن تحددى لقلبى الشهيد موعداً للجواب كى أغادرك وأنا أقول لنفسى من يوم لآخر ستوافينى نعمة جوابها فى يوم كذا .. « كارين » ، أيتهـــا العزيزة ، إختارى بنفسك اليوم الموعود وعينى تاريخه ، وليكن القرب والبعد على ما يوافق رغبتك وهواك ... أما أنا فسأعاهدك الآن عهداً لا أحنث فيه ولا أنحرف ألا أخوض فى ذكر هـذا الموضوع الذى سيكون برغم هـــذا هو شغلى الشاغل وهمى الناصب .. فحددى بعيشك موعد جوابك . وهنا تمتمت مدام « ليجيه » بصوت محتبس ولهجة ضارعة : سيكون ذلك حين ينتهى أجل حدادى على زوجى الراحل . وبما أنك تدعى حبى فارجوك التمسك بوعدك منذ الآن كما أتمسك بوعدى أنا . والآن أرجو ألا تلح على فى هذا الشأن فقد كفانى ما كفانى ...

ثم يقول لها . وهو يود أن يوضح بالوقت المعين كل شك وغموض يمكن أن يعتور موعده المرجى : وإذن فسيكون جوابك بعد أسابيع فى الرابع عشر من نيسان ؟ ! فأجابت على هذا بإيماءة من رأسها ثم انعقد بينهما جو من الصمت ...

لقد قالت يد الموت زوجها الحبيب فى الرابع عشر من أبريل أى منذ اثنين وعشرين شهراً سلفت قبل هذا اليوم الذى يجالس فيه مدام « ليجيه » خطيبها السيو جورج . كل ذلك جال بذهن (مدام ليجيه) وظن الخاطب الصديق الذى شعر بثقل كلماته على نفس الزوجة بعد أن عين لها الموعد المضروب ... أن يستأنف المرء حياته دون أن يعوج بذكرى أحبته الراحلين عن الدنيا فى ذلك ويا للحسرة إساءة إلى ذكراهم الثائرة وعهودهم الماضية ، وإذن فمن يئب عن الوجود تحت معه ذكراه وتنعدم ثم تبتلعه هوة العدم إلى غير رجعة ، والمفتاء

ومرت على هذا اليوم ستة الأسابيع المضروبة دون أن يلم خلالها طيف الزوج الراحل ودون أن تتردد ذكراه على رأس الخاطب ومدام « ليجيه » فتفسد عليهما خلوتهما اللذيذة وجلساتهما اليومية المتعاقبة ...

ويجد المسيو جورج من اللطف والأدب ألا يعرض لذكر الموعد المرتقب خلال هذه الأسابيع الستة . ثم يرى من الظرف والكياسة أن يغادر (باريس) حين اقترب اليوم المضروب يوم ١٦ نيسان . أما مدام « ليجيه » فقد أخذت تتهيأ لهذا اليوم وهو ذكرى يوم وفاة زوجها . وقد أحيت هذه الذكرى في ذلك اليوم في شيء من البرود وعدم المبالاة لم تختلج بهما أثارة من حنان ولا بقية من لجيمة وحسرة . وفي اليوم الثالث عشر من نيسان تسلمت من جورج خاطبها خطاباً ينبئها فيه بزيارته من الغد عند الظهر ، فأقبلت على الرسالة تقرأها مرة ومرتين ثم بدرت منها بادرة غريبة عجبت لها هي نفسها ... وذلك حين رفعت رسالته إلى فمها وقبلت سطورها وفي ظنها أنها إنما تقبل حياة تفيض بالسعادة واللذة خلال هذه السطور .. وأخذت تردد : نعم .. نعم .. سيكون جوابي .. نعم . وإذن ففيم استيقاظها صبيحة هذا اليوم مضطربة حيرى كما أسلفنا ؟ .. ما الذي حدث خلال هذه الفترة القصيرة بين تقبيلها رسالة جورج نهار الأمس فرحة نشوى وبين الساعة التي ترتفق فيها وسادة سريرها الوثير يبدو عليها سهوم وتفكير ؟ ما الذي طرأ عليها يا ترى فبدل عزمها ؟!.. وأقبلت الخادم في هذه اللحظة فهصرت أستار الغرفة عن النوافذ والشبابيك فطفت على جوها موجة من نور لألاء ضاحك فمر المكان كله ؛ وكان المكان في شارع « فانو » تشرف نوافذه وشرفاته على بستان القنصلية النمسوية الظليل ، ولمعت زرقة السماء من خلال النوافذ ونفذ تغريد العصافير إلى المسامع شجيا موسيقيا شعرت معه مدام « ليجيه » أن ثوب الجدة الذي تضفيه الطبيعة على جسمها يتفق والموقف الجديد الذي تقفه هي من حياتها الجديدة هذا اليوم .. حتى أن الثوب المزركش الذي حلته الخادم منذ لحظة كان يغريها بأخيلة وخطرات حافلة باللذة والسعادة..

ومع ذلك فلم ينقطب جبينها ويربد وجهها كلما نظرت إلى عقرب الساعة ينتقل من مكانه . مالها تقف حالة ساهمة بدل أن تنشط وتفرح ؟ .. أتراها تتخوف مما عساه يحمله لها هذا اليوم من خوف مجهول ؟

* * *

حين تكلمت مدام ليجيه عن واجباتها نحو أولادها لم تقل كل شيء للصديق الخاطب ، لم تعترف له أن ولدها البكر « شارل » ما فتئ منذ شهور مدعاة تخوفها . أبداً لم يتبادل الابن مع أمه كلمة عن « جورج فوكولت » خاطبها الرغيب ، وكان هذا الأخير لا يميز هذا الغلام اليافع في المخاطبة والحوار عن أخيه الصغير « رنيه » وأخته الصغيرة « هيلين » اللذين كان يكلمهما بصيغة الإفراد دون كلمة . ولكن إذا شفعت سنو الطفل « رنيه » الخمس وأعوام الطفلة « هيلين » العشرة — لهذه الصيغة الافرادية يبدي فيها صديق أبيهما حبه وتدلهه لهما ، فان الستة عشر عاما التي يجتازها الغلام المراهق « شارل » كانت تقيم بينه وبين « جورج » الخاطب جوا مختلفاً عن جو أخويه فيه بدل الألفة والعطف وعدم الكلفة الانقباض والنفرة . ومع هذا فقد كان الخاطب الواغل يغضي عن هذا ويتجاهل ، بل لقد أخذ في الآونة الأخيرة يضاعف عطفه على الغلام ويبتغي الوسيلة إلى قلبه النافر ووجهه العابس الصامت

ونلاحظ مدام « ليجيه » ذلك السلوك المحبب الجذاب الذي يعامل به الخاطب ولدها البكر فتنتبط به وتنشرح له

ولكن رغم كل هذا كانت تترقب من ابنها رفضاً وثورة أخذت تحسب حسابهما وتتهيأ لهما منذ أيام

من هنا كانت حيرتها وقلقها في هذه الصبيحة الباسمة من نيسان التي كان عليها فيها أن تقول كلمتها الأخيرة في رفض يد « جورج » أو قبولها . ولهذا وحده هي تدير في ذهنها الصورة المستحبة اللائمة التي يمكنها بها أن تفجأ ولدها دون أن تؤذيه أو تسوءه في عزة نفسه ، فكانت تردد :

— كان علي أن أنبئه بذلك وأسبر غور رضاه أو رفضه منذ

ستة أسابيع ... غير أني لم أستطع ذلك لأني أجدني أمامه مرتبكة مشلولة الإرادة فأني بحضرة أبيه الراحل . فيا لله كم يشبهه حتى كأنه صورته الثانية ! وعلى كل حال فإن جورج أحسن في تحبيبه إليه وترضيه ... وذكر اسم جورج هكذا مراراً ، دل المرأة على أنها تنطوي له على حب وميل ..

نعم يلوح لها أنها تحبه بأنصاف من المواطف والميول غير متكاملة ولا متكونة . ولكن ذلك ويا للأسف كان يزيد ألمها ويضاعف شجوها .. أجل إن جورج محق في قوله . فواجب على معاودة حياتي الزوجية ، وأنا بهذا لا أنال شيئا من روحي الميت ولا أسوءه في كرامته . كذلك لا أفقات على أولادي الأحبة الذين تركني لهم ، لأن جورج سيحبهم وسيحنو عليهم . والصغيران يحسان بهذا وبقدرانه في سذاجة وطهارة . أما شارل ولدي الحبيب فسوف يقدره كذلك إن تفكر وتدبر . آه لشد ما يحب أباه هذا الصغير ! إنه لينمو ويتفتح للحياة يوما بعد يوم كأنما تتعهد عناه معجزة من السماء

هو الأول في فصله في مدرسة « سان لويس » وإنه يتفوق بين رفقائه وزملائه بصورة غريبة سريعة كأنما وطن نفسه على أن يسد الفراغ الذي تركه أبوه من بعده ، إن لم يكن قد قام في نفسه أكثر من هذا : أن يكون خليفة أبيه في البيت ورب الأسرة التي كان يحلم أن يكون حاميها وراعيها . فيا للقسوة والنكران ! وكيف تجرؤ هذه الأم أن تسلم أمور البيت إلى راع آخر وحام غريب ؟!

ومضى الوقت وكادت الساعة تبلغ العاشرة وأفكار المرأة مازالت تضطرب في ساحة ذهنها جيئة وذهوبا . وفيما هي منصرفة إلى زينتها وترجيل شعرها وتعليق حليها وأقراطها ، إذا طرقات على باب الشرفة تنفذ إلى أذنيها فيجب لها قلبها وترتعش نفسها أمامه كمجرم أمام قاضيه . وفي الحق لقد كان الداخل « شارل » الذي توقف على الباب لحظة كالمأخوذ بدل أن يدخل عليها لتوه . قالت له الأم مضطربة قلقة وقد شاهدت تأثرا فجائيا يطبع وجهه بطابع الألم : مالك يا بني ؟ فأجابها الغلام :

لا شيء لا شيء ، إني مشدوه معجب فقط ... لقد ألفت أن أراك دائما في ثياب الحداد . ولكن ولكن ... أصحيح أن حدادنا على أبي قد انتهى ؟ فألقت « مدام ليجيه » على المرآة الكبيرة أمامها نظرة غير عامدة فإذا بها تبصر ملامح وجهها الرائق تنسجم أبدع انسجام مع خصلات شعرها الذهبي ، ولكن يناقض ذلك كل المناقضة زي ولدها المدرسي الأسود الفاحم كله في حلة من حداد ، ويرتجف صوت الأم حين تهم بإجابة ولدها ثم تنجدها لباقتها فتغير مجرى الحديث وتقول :

— ولكن ... قل لي ... لعلك مسرور من استئذاك هذا الصباح ؟ ثم ... ثم كيف حال كتابتك في الانشاء ، أظنها أعجبته ؟! ثم ناجت نفسها :

— سأبث لحظة قبل الاعتراف له بالحقيقة خصوصا وهو متأثر ومفاجأ بهذا اللباس والوقت متسع للغداء وللافضاء إليه بالأمر ...

° ° °

على رغم من أن المحامي المتوفى موسيو « ليجيه » قد خلف لعائلته بفضل مركزه الخطير ونجاحه الكثير ثروة لا بأس بها ، فان مدام « ليجيه » لم تخالف شيئا مما ألفته سابقا من تدبير واقتصاد في الانفاق على المنزل . ولما كانت مدام ليجيه لا تستقبل في مفتتح عهدها بالترمل إلا أقرباء يمتون إلى الزوج بصلات القربى والمودة ، فان الإعداد لذكرى الميت لم يكن يحملهم جهدا أو مشقة . ولكن أنى لها بمل كرسي زوجها بشخص خاطبها جورج في حفلة الغد ؟ أي عذر ستعتذر به لولدها ؟ كيف تخل بهذه العادة التي يقدسها ابنها ويمجدها ، والتي باتت تهيمن روحها وتثقل على قلبها لأن صورة الخاطب أخذت تحتل مكانها يوما بعد يوم من قلبها

وفي صباح هذا اليوم في وثبة طافرة من وثبات الإرادة الغريزية أمرت مدام ليجيه الخادم فقالت :

— لويس ، لا تضعي في هذا الغداء مقعد المرحوم زوجي على المائدة ، بل عليك أن تضعي مكانه مقعدا لجورج فوكوات ...

وحان وقت الغداء واتخذت العائلة أمكنتها حول المائدة ، ولكن « شارل » الصغير ما كاد يرى المائدة والكرسي الجديد يدل كرسي أبيه المتوفى حتى حملق في وجه أمه وقد امتقع وجهه وانتشف لونه أولا ثم احمر واشتعل بالدم الملتهب . ونظرت إليه الأم برعب ورهبة ، ثم صبغ وجهها الاحمرار هي أيضا . ولكن في تلك اللحظة الرهيبة الحرجة جرى أمر زاد في اضطراب مدام ليجيه وارتباكها ثم حيرها ، ولكنه في الوقت نفسه أجرى المسألة في مجرى حسن لم تكن تتوقعه مدام « ليجيه » . فبينما كانت تتناول بيدها مسند مقعد كي تجلس إلى المائدة إذا « بشارل » ولدها يلقي عليها نظرة تفيض بالحنان والشكر ثم تختضل عيناه بالدمع الذي لم يكن منبعه الحنق عليها ولا الغضب منها وإنما هو الامتنان منها والشكر لها ... ولكن من أي شيء صدر هذا الامتنان ؟! نجم مما صوره له وهمه دون أن يتظنن بالحقيقة الواقعة فلم يلاحظ الولد الطيب صورة المفاجأة والدهشة التي بدت على وجه أمه ، ولا نظرات الارتباك المتبادلة بينها وبين الخادم ، فقر في ذهنه أن أمه قد تبرعت له بمكان أبيه مراعاة له وتبديدا لظنونه السابقة في وفائها لأبيه ، لهذا احتل مقعد أبيه أو الكرسي الذي وضع للخاطب « جورج فوكولت » محل كرسي أبيه ، وقلبه يخفق من الفرح والشكر وحلقه غاص من الذكرى والحنين ... وانتهى الغداء وخلا المكان « بشارل » وبأمه فضم « شارل » أمه إلى صدره بشوق وشكران وراح يقول لها وقد أرخى لعبراته العنان حتى بللت وجه الأم المسكينة الحائرة .

— آه ، شكرا لك ألف مرة يا أماه . فقالت أمه في حيرة :

— ولكن لم هذا الشكر يا بني ؟! فقاطعها دون أن يترك لها الفرصة لمتابعة حديثها :

— أشكرك لأنك أحللتني محل أبي على مائدة الطعام في اليوم الذي تخلعين عنك فيه ثوب الحداد . إنك لا تدرين أي جميل أسديته إلي وملأ به قلبي الحزين ... آه ... ولكن يجب أن أعترف لك بصراحة . لقد كنت منذ زمن أشك ، بل أخاف من نصرفاتك فاغفري لي الآن هذه الشكوك والظنون ... نعم كنت أخشى أن تسنح لك في يوم ما فكرة الزواج لأنك ما زلت صبية . ولقد أبصرت ثلاث أمهات من أمهات رفقائي في المدرسة يتزوجن ويسلمن أبناءهن لأب ثان غريب عنهم . ولكنك أجلستني مجاهك منذ لحظة على مقعد أبي المرحوم فأدركت أنك تريدين أن تقولي لي : املأ محل أبيك يا بني فقد آن لك أن تشغله وتواجه أمتك وأخاك العزيزين وأمك التي تحبك ، ولكن إن شغل مكان أبي ذلك الأب الذكي الطيب ، فذلك ما ليس في وسعي ولكن أعاهدك أن أبذل له جهدي . وهنا تمثل لمدام « ليجيه » أنها كانت ستحطم قلب ابنها النبيل لو أنها انقادت لهواها الذي بدأت تشعر به نحو « شارل »

وفي هذه اللحظة وبينما « مدام ليجيه » تضطرب بين الماضي والحاضر ، وتترجح بين تيارين طاغيين . تيار جارف عنيف من حب امرأة صبية حسناء ، وآخر هادئ عميق من عطف أم رؤوم ، إذا برنين الجرس ينتزعها من ذراعي ابنها الذي كانت تحتضنه وتضمه إلى صدرها بحرارة وشوق ..

لم تكن مخدوعة فقد جاءها الخادم بعد ثوان يطلب الإذن لموسيو جورج الخاطب الجديد ، فأبدى ابنها « شارل » حركة مفاجئة أراد معها الانسحاب من قاعة الاستقبال ولكن الأم فهمت منه هذه الحركة فقالت في كبرياء ممزوجة بألم :

إبق مكانك يا « شارل » ثم التفتت إلى الخادم وتقول :

— قل لموسيو « جورج فوكولت » إنه من المستحيل على مواجهته هذه الساعة وسأكتب له جوابي كتابة ...

« حين انفردت بابنها راحت تعانقه في لهفة وابتهاج ثم قالت :

أبدا لن أتزوج يا شارل العزيز . أبدا لن أثقل عليك بأب يؤلم نفسك ويجرح قلبك . لن أرضى أن تتألم أنت كي أسعد أنا . إنك حسبي من دنياي يا بني وأظن أني حسبك أيضا

ك . ع

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٥٢

لقد شرعت المصلحة في الاستعداد لاصدار طبعة الصيف من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير

وفضلا عن أهمية الاعلان في الجداول المذكورة فان المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجرا زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا لشدة الاقبال على الاعلان فيها

ولزيادة الاستعلام اتصلوا : —

بقلم النشر والاعلان بالادارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة